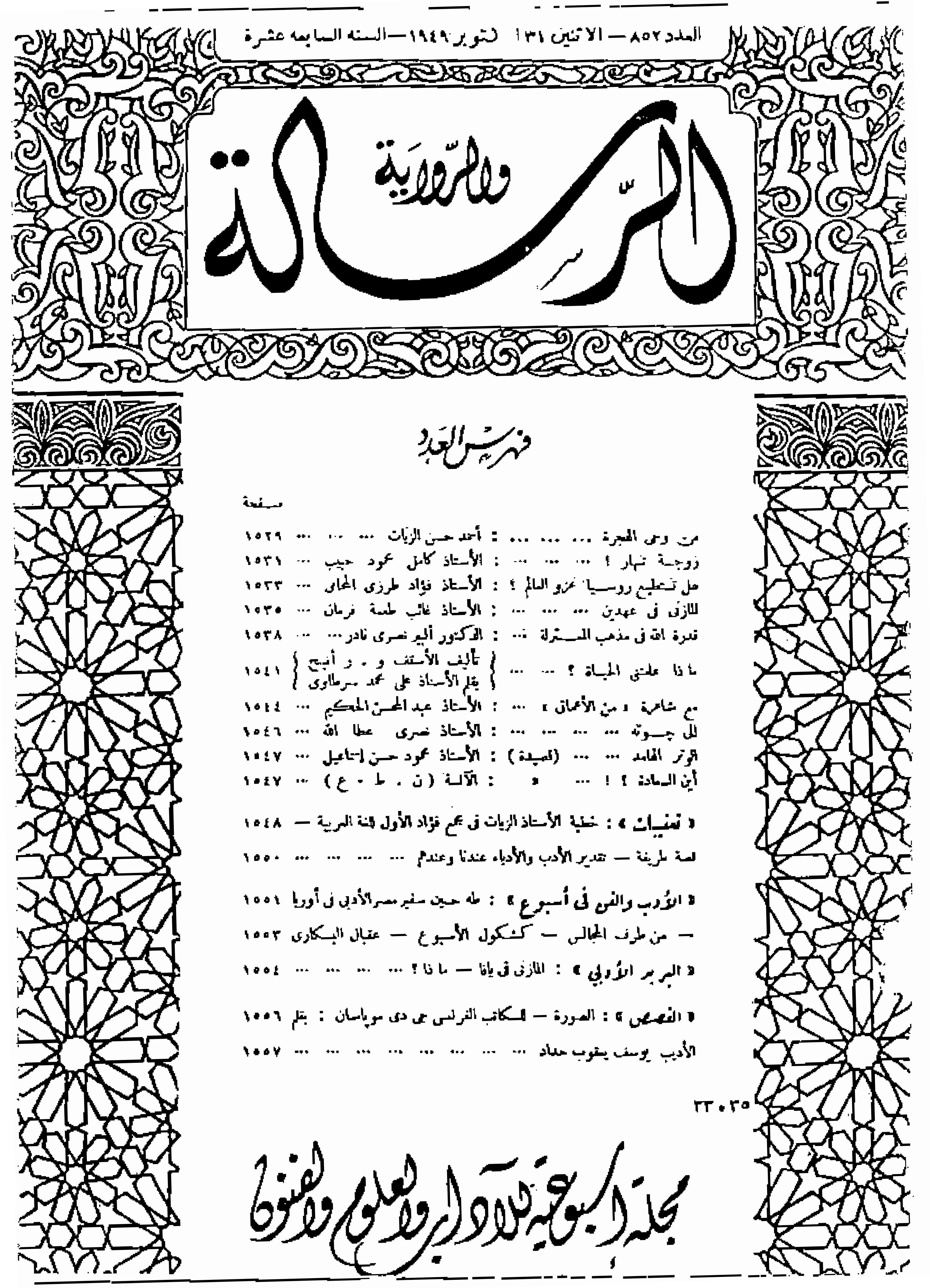
العدد ٨٥٢ — الاثنين ٣١ أكتوبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 e Année No. 852 — Lundi 31 - 10 - 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من وحي الهجـــرة (*)

بعث الله النبي الكريم على فترة من الرسل ، في عصر غير ذي دين ، وجيل غير ذي خلق ، وبلد غير ذي زرع . فلقي صلوات الله عليه من سفه الجاهلية وكَلَب المادية وكيد العصبية وحرمان الفقر وخذلان القلة ما لا يسعه طوق بشر إلا بروح من الله ومدد من الإيمان وعون من الخلق .

حمل محمد رسالة الله وهو فقير ضعيف ، وحمل أبو جهل رسالة الشيطان وهو غني مسلّط ، فحوّل مكة للشرك جبلا من السعير سدّ على الرسول طريق الدعوة ، فكان يخطو في طرقها وشعابها على أرض تمور بالفتون وتفور بالعذاب . وتفجرت عليه من كل مكان سفاهة أبي لهب بالأذى والهون والمعاياة والمعارضة . وكل قرشي كان يومئذ أباجهل أو أبا لهب إلا من حفظ الله . واتفق كفار مكة ومشركو الطائف في أذى الرسول ، فعذبوه في نفسه وفي أهله وفي صحبه ليحملوه على ترك هذا الأمر فما استكان ولا لان ولا تردد . وحينئذ تدخل الشيطان بنفسه في (دار الندوة) فقرّر القتل ، وتدخل الله بروحه في (غار ثور) فقدّر النجاة . وانطلق محمد هو وصاحبه ودليله وخادمه على عيون المؤتمرين في الطريق الموحش الوعر حتى بلغوا طيبة . وهنالك بالصبر والصدق والإيمان والرجولة أثمر غرس الدعوة وتم نور الله .

كان يوم الهجرة الذي جعله عمر الحكيم العظيم تاريخاً للمسلمين يحسبون منه أيامهم ، ويؤرخون به أحداثهم ، خاتمة وفاتحة : كان خاتمة لثلاثة عشر عاماً من المحن الشداد والآلام القواتل تظاهرت على الإيمان والصبر حتى قال الرسول وهو يلوذ بحائط من حوائط ثقيف : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ وكان فاتحة لثلاثة عشر قرناً من النصر المؤزر والفتح المبين ، أعلن العرب فيها كلمة الله ، وبلغوا رسالة الحق ، وحملوا أمانة العلم ، وأرشدوا الضال فاهتدى ، وحموا الذليل فعز ، وعلموا الجاهل فتعلم ، ومكنوا في أرضهم الفسيحة ودنياهم العريضة لعناصر الجمال والخير فتروت في كل نفس ، وازدهرت في كل جنس ، وانبثت في كل مذهب ، وانتشرت في كل أفق ؛ وحققوا لهذا الإنسان طريد العدوان وعبد الطغيان أحاديث أحلامه وهواجس أمانيه ، من الأخوّة التي يعم بها النعيم ، والمساواة التي يقوم عليها العدل ، والحرية التي تخصب بها المدارك ؛ لأن رسالة محمد لم يوحها الجوع ولا الطمع ، وإنما أوحاها الذي خلق الموت والحياة ، وجعل الظلام والنور ، وأوجد الفساد والصلاح ، ليدرأ قوة بقوة ، وينقذ إنساناً بإنسان .

كان يوم الهجرة إلى المدينة وما قبله تشريعاً من الله في حياة الرسول للفرد المستضعف إذا بغي على حقه الباطل ، وطغى على دينه الكفر ، ليعرف كيف يصبر ويصابر ، وكيف يجاهد ويهاجر ، حتى يبلغ بحقه ودينه دار الأمان فيقوى ويعز .

وكان يوم العودة إلى مكة وما بعده تشريعاً من الله على لسان

(*) أذيعت في مساء الأحد أول المحرم من دار الإذاعة اللاسلكية بالقاهرة

بصنوف من الاحتقار والزراية ، وعقله يضطرم بضروب من الكراهية والمقت . لقد غطى الشيطان على عيني الفتى — حيناً — فاندفع يزخرف الحديث للزوجة ويختلها بالظاهر البراق ، يوهمها أنه شيء وما هو بشيء ، وفي طبيعة المرأة ضعف وفي جبلتها خور فأسلمت له وانقادت فهوت . ولكن عقل الفتى كان يحزه — بين الحين والحين — وخزات عنيفة توقظ في نفسه الندم أن اقترف الجريمة الشنعاء في ساعة من ساعات الطيش الجامح ، غير أنه يرى الزوجة الخائنة إلى جانبه تبسم له في رقة وتحنو عليه في عطف ، فيرق لها قلبه وتتحرك في فؤاده نوازع الرحمة يشوبها الاحتقار ، وتضطرب في نفسه دوافع الشفقة ممزوجة بالبغض .

أما هي فكانت تتملقه وهي ترى ثوب الرياء الذي تسربله حيناً من الزمن ينكشف أمام ناظريها عن ألوان من الضعة والسفالة والنقر ... ولكنها كانت تتملقه وهي تحس في نفسها ألماً يتصدع له قلبها وينقد فؤادها ... تتملقه لأنها لم تعد شيئاً سوى جيفة نتنة ملقاة على الثرى ، وهي تخشى أن يقذف بها صاحبها إلى عرض الشارع .

لا عجب ، فقد كان للشاب — في يوم ما — يحب الزوجة حباً براه فالقاً كبده ، ولكنه كان حب الحيوان يرنو إلى الأنثى ليقضي منها وطراً . فلما ظفر بمأربه بدأ الملل يتسرب إلى قلبه وضاق هو بحاجات المرأة ورآها ثقيل تافه . وخانته شجاعته فلم يقو على أن يكشف لها عن خواطر عقله ، فعاشا معاً زماناً .

وانطوت الأيام تمسح يدها الرقيقة على قلب الزوج عسى أن تلئم جراحه أو تسرى عنه بعض همه ، وترفقت به العناية الإلهية فتدفقت في مفاصله روح الصحة والعافية ، فإذا هو — بعد أيام — في مكانه في المدرسة يجد السلوة في عمله بين كراساته ودفاتره وتلامذته . ولكن مثراً كثيفاً من الأسى ما زال ينسدل على جبينه فيبدو كئيباً ضيق النفس لا تنفرج شفتاه — أبداً — عن ابتسامة .

وسأله صاحب له — ذات مرة — عن ما أصابه فقال : « لقد ماتت زوجتي وخلفت لي صغاراً لا أجد من يكفلهم في غيبتي وإن عملي ليرغمني على أن أقضي ساعات النهار كلها في المدرسة » فقال له صاحبه « أحقاً ما تقول ؟ » قال « نعم ، لقد ماتت من تاريخي أنا فقط » وتراءى للصديق أن حادثة اجتاحت الزوجة وطمست على بشاشة الزوج في وقت معاً ، فقال له في لهفة وشفقة « وكيف ؟ » فجلس إليه يقص القصة كلها وإن عبراته لتتدفق هتانة ثم قال : « وأنا الآن أضيق بالحياة فما أصبر على الوحدة ولا أستطيع أن أتزوج فأضرب أولادي باليتم والضياع . فلا معدى لي عن أحد أمرين : إما أن ألقي بنفسي في اليم فأخلص من عذاب بين أمواجه وإما أن أذهب إلى السودان مرة أخرى فأنفقد روحي بين لظى الحر وقيظ الهاجرة » فقال له صاحبه في فزع : « وأولادك ؟ — أولادك يا أحمق ؟ » واضطرب قلب الرجل فآثر أن يبقى بين أولاده يرعى شأنهم ، وهو يتشبث بالصبر والسلوان . وكان صاحبه ذا شأن ومكانة فجذبه من مشغلة التدريس إلى فراغ الديوان ليجد من وقته فراغاً للدار ومن قلبه سعة للولد .

وقضى الزوج سنة ذاق فيها غصة الحياة ومرارة الوحدة ، وأحس — هو وصغاره — حرقة اليتم ولذع الضياع ، واستشعر — وحده — قسوة القدر وناطلة الأيام . على حين كانت الزوجة الخائنة تعيش بين ذراعي فتى يصغرها بسنوات ويضيق بشرتها ، ويرى فيها فتوناً من الضعة والصغار ، ويخشى أن تعبث به كما عبثت بزوجها من قبل ؛ وما حاله بأحسن من حال زوجها يوم أن كان ، ولا هو أعز عليها من أولادها ... ثم ثارت به الشكوك وساورته الريبة !

وجلست الساقطة — ذات ليلة — إلى فتاها تطلب إليه أن يرتبطا معاً بالرباط المقدس ... الزواج ، وتلح في الطلب . ولكنه امتنع عليها وأعرض عنها !

يا لجهل الحمقاء ! لقد عزب عن عقلها الفج أن المرأة المهينة هي لعبة تافهة بين يدي الرجل يلهو بها ساعة ، ثم يحطمها وينبذها بالعراء ؛ لا يحمل لها في نفسه إلا المهانة والاحتقار ، وأن المرأة العصية هي في ناظريه كالطود الأشم ينحسر عنها البصر كلما اقترب منها لأنها تتراءى أمامه شاهقة باسقة .

وألحت الحمقاء في الطلب فثار صاحبها ثورة قذفت بها إلى عرض الشارع وهو يقول « أأتزوج هذه العاهر .. هذه الفاسقة ؟ »

وخرجت الخائنة إلى الشارع في ليلة ممطرة وإن أسنانها لتصطك من شدة البرد ، وإن جسمها لينتفض من زمهرير الشتاء وإن عبراتها لتنهمر من خيبة الرجاء وضيعة الأمل .

واقتص القدر من الزوجة الخائنة حين قذف بها إلى الشارع لا تجد العون ولا المأوى ، فيا للقصاص العادل ... يا للقصاص !

كامل محمود حبيب

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزى الحامى

عندما أعلن كارل ماركس نبوءته بشر بثورة العمال الكبرى التى ستنهى المرحلة الرأسمالية وتقيم على أنقاض عالمها نظاماً شيوعياً ، وقال إن الفترسيكون الدافع الذى سعجل بهذا الانهيار . وقد حصلت الثورة فى روسيا وقام أبطالها بتطبيق نظريات كارل ماركس تمهيداً لإنشاء المجتمع الشيوعى الموعود . واليوم ، وبعد أن مر أكثر من ثلث قرن على هذه الثورة ، نسمع أن الجيش الأحمر حل محل ثورة العمال ، وأن زعامة ستالين خلفت الفقر فى تولى قيادة التاريخ . وبهذا تعلق مصير الشيوعية بهذا الجيش وبهذه الزعامة ولم تعد تعنى تطوراً اجتماعياً حتماً لابد منه . وبناء على هذا التحول نتساءل الآن عما إذا كان فى إمكان الجيش الأحمر ومن وراءه قوته روسيا غزو العالم وإقامة النظام الشيوعى؟

* * *

لقد اتضح بسرعة بعد الثورة الروسية أن هؤلاء الاشتراكيين البلشفيين أناس يختلفون فى نزعتهم من أولئك البلنار المستوريين والثوريين من اتباع كرنسكى . لقد كانوا من الشيوعيين المتعصبين ، وكانوا يعتقدون أن تسلمهم السلطة فى روسيا ليس إلا بداية للثورة الاجتماعية ، فعملوا على تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى وإقامة نظام جديد بعقول لم تنضجها التجارب . وإن كانت الحكومة البلشفية قد نجحت فى كفاحها ضد التدخلات الخارجية والثورات الداخلية ، إلا أن نجاحها كان أقل فى محاولاتها لإقامة نظام اجتماعى جديد يرتكز على المبادىء الشيوعية . فقد كان الفلاح الروسى ، ذلك الفلاح الجائع صاحب الأرض الصغيرة ، بعيداً من الشيوعية فى آرائه وطرائقه فى الحياة بعد الحوت من الطيران كما يقول ويلز . إن الثورة منحته أرضاً من تلك الأراضى التى كان يملكها الملاك الكبار ، ولكنها لم تيسر له إنتاج غذائه لغير معاملات التبادل النقدية ، بل إن الثورة هبطت من بين ما هبطت قيمة النقد ذاتها . يضاف إلى ذلك أن الفوضى كان قد سبق لها أن شملت الإنتاج الزراعى من جراء انهيار طرق السكك الحديدية أثناء الجهود الحربى فتقلص هذا الإنتاج تقلصاً انتهى به إلى أن غدا مجرد إنتاج للطعام يتعهده الفلاحون لاستهلاكهم الخاص . وجاءت المدن وفشلت فشلاً تاماً كل المحاولات الارتجالية الداعية لتحويل الإنتاج الصناعى وفقاً المبادىء الشيوعية . وما إن حل عام ١٩٢٠ حتى كانت روسيا قد عرضت أول اتجاه من نوعه فى المدينة الحديثة إلى الانهيار التام . وأعقب ذلك انهيار خطوط السكك الحديدية وخراب الدور وسريان الدمار إلى كل مكان . وفى عام ١٩٢١ حل جدب عام وسرت بين الفلاحين التنجين مجاعة كبرى عمت المناطق الجنوبية وأجاعت الملايين من الناس .

ووسط هذه الظروف المؤلمة وضعت التصاميم لتنفيذ عملية الأعمار ، ووضعت سياسة اقتصادية جديدة . وبمقتضى هذه التدابير منحت حرية لا بأس بها للمالك الفردى ولصاحب المشروع الخاص على عكس ما يتطلبه المنطق الماركسى . ولهذا لاح أن روسيا قد تخلت من الاشتراكية وأنها أصبحت تعيش فى ظروف تشبه نوعاً ما تلك الظروف التى كانت عليها الولايات المتحدة فى المئات الأولى من سنى تاريخها . فقد ظهرت طبقة الفلاحين المرفهين من الكولاك الذين يشبهون الفلاحين الأمريكيين الصغار وتضاعف عدد التجار المستقلين . ولكن الحزب الشيوعى لم يكن يميل إلى ترك وسائله الخاصة فى سبيل السماح لروسيا أن تسير على النمط الذى سارت عليه اليقظة الأمريكية منذ مئات السنين .

وفى عام ١٩٢٨ بدأ مجهود ضخم جبار لإعادة البلاد إلى الطريق الشيوعى فى التطور الاجتماعى . فوضع مشروع الخمس سنوات وفق تصميم يروم دفع البلاد إلى الأمام لتحقيق توسع سريع فى ميدان التصنيع ، وعلى الأخص ، وبصورة كبيرة ، فى مجال المصنوعات الثقيلة وإعادة تنظيم الإنتاج الزراعى حسب أسلوب الإنتاج الكبير الذى تتعهده المزارع التعاونية . وفى شهر يناير من عام ١٩٢٤ خسرت روسيا قيادة لينين البارعة ، وكان خلفه ستالين صاحب يد قوية قاسية فعمل على تصنيع البلاد بالعنف ولكنه لم يصب أى تقدم رغم كل المحاولات . وما إن حل شتاء عام ١٩٣٣ ١٩٣٤ حتى وجدت روسيا نفسها دفعة واحدة تواجه نقصاً كبيراً

فى الظلام . وخلال كل هذه المراحل كانت بقية الدول فى العالم مشغولة فى اجتناء نظام القائدة الخاصة ، مراقبة التجربة الروسية مراقبة يمتزج فيها الفضول بعدم الثقة والتهيب . ولكن هذه التجربة كانت تتحول من حال إلى حال ومن شكل إلى شكل . فإن الضغط العنيف على المعارضة قد استمر على قوته مما اضطر كل أسلوب من أساليب المقاومة أن يعمل فى الخفاء والسر ، وبذلك كان الأمر ينتهى بالمعارضة المضغوط عليها إلى أن تصبح معارضة دموية . وأخذت دودى الانفصال تأكل فى قلب النظام الجديد ، وأعقب وفاة لينين صراع طاحن من أجل السلطة ، بين تروتسكى الذى يعزى إلى قيادته العسكرية اللامعة النجاح الذى أحرزته الجمهورية فى المعارك الدفاعية التى خاضتها عام ١٩١٩ — ١٩٢٠ وبين ستالين سكرتير الحزب الشيوعى سابقاً . إن التفاصيل الكاملة لهذا الصراع المفدلا تزال غامضة لم يزح عنها النقاب ؛ فقد كان تروتسكى موهوباً ولكنه كان مغروراً ، أما ستالين فكان صلباً مستبداً برأيه . وأدى الصراع بينهما إلى تقسيم القوة الماركسية اليسارية فى جميع العالم إلى جهتين متخاصمتين .

وشوهد فى روسيا نفسها الكفاح السرى الذى يوجهه المعارضون من الموظفين والمستخدمين ضد ستالين فى إدارته ، ولكن أكثر قوى هذا الكفاح قد ضاع فى وسط شديد الغموض ونشب بين الجهات المعارضة بكل تأكيد بعض الخيانات والانشقاقات ، إلا أن هناك احتمالاً يقرب من اليقين يؤيد بأن المعارضة كانت موجودة فى زمان لينين ؛ وأنها ازدادت نشاطاً وترابطاً بعد وفاته . وسلكت الحكومة الستالينية فى بادىء الأمر سياسة معتدلة مع هؤلاء المعارضين لفترة من الزمن .

وقد سيق إلى المحاكمة عدد من الموظفين المسؤولين ومعهم عدد من الفنيين البريطانيين متهمين بأنهم يعوقون عن عمد المحاولات الجارية لتصنيع روسيا . وانكشف الستار بعد عدة محاكمات متتالية عن عناصر سياسية متآمرة . ولكن حتى مقتل واحد من أقرب المقربين إلى ستالين وهو وزيره (كيروف) الذى قتل أثناء قيامه بواجبه فى الكرملين فى أول ديسمبر ١٩٣٤ ، وإلى حد هذا التاريخ كان المتهمون يساقون إلى السجن أو إلى المنفى ؛ إلا أن الأمور بعد هذه الحادثة أخذت تتجهم وتزداد حلوكة . ففى ربيع ١٩٣٤ فقد ستالين زوجته فى ظروف لا تزال إلى الآن غير معروفة بل وأن هناك من يظن أنها انتحرت بسبب الآلام التى قاساها الفلاحون عند تطبيق مشروع السنوات الخمس . وبعد أن نفض ستالين يديه من جميع معارضيه قتلاً وتشريداً وجد نفسه بلا صديق حميم فراحت المحاكمات السياسية تتبع الواحدة الأخرى ، وأصبح الموت هو الشىء الوحيد الذى يتبع مجرد الاتهام ، وقتل القادة البولشفيك الواحد بعد الآخر ، ولم يبق منهم غير اثنين أو ثلاثة . وغدا ستالين طاغية لا يعرف معنى التسامح ولا أسلوب التسويات بل كان همه مكافحة المتآمرين على حياته ومصلحته .

هذه هى الحالة التى كانت عليها روسيا عام ١٩٣٨ ؛ فالحياة المادية فيها — كما يقول ويلز فى كتابه تاريخ العالم — كانت تعانى الإجهاد يصاحبها تحسن تدريجى فى الإنتاجين الزراعى والصناعى . وقد كان فى وسع الجيش الهتلرى لو وجه كل قواه منذ أول الحرب لغزو روسيا أن ينجح أكثر من نجاحه الذى حققه فى الغزو الذى شنه بعد أن استنزفت القوى الألمانية وبعد أن استطاع الإنجليز والأمريكيون أن يزيدوا مواردهم ويضاعفوا إنتاجهم .

ومع أن قوات الروس والحلفاء ظلت متعاونة قرابة أربع سنين إلا أن الهوة التى تفصل بين الأهداف الروسية والأهداف الأمريكية سرعان ما فصلت بين الحلفاء الغربيين وبين روسيا بمجرد انتهاء الحرب ، وعاد العالم — كما حدث فى كل مراحل التاريخ — لينقسم إلى معسكرين متعادين متعارضين ، وأخذت تتردد أحاديث الحرب الجديدة على الشفاه ، فيكتب عن هولها الملقون ، ويتنبأ بنتائجها الباحثون والكاتبون . ولا يمكن حتى لأشد الناس تفاؤلا أن يكتم يقينه بوقوع الواقعة يوماً ما ، لأن ستالين قد أعد جيشه الأحمر ليكون رسولا لمبادىء كارل ماركس ، كما سبق لهتلر أن أعد جيش الرايخ ليقيم النظام الجديد . فما هى الموارد التى تعين هذا الجيش الذى أضحى بديلاً من الثورة العمالية الكبرى ؟ أو بمعنى أصح ، هل روسيا قادرة على تحقيق حلم ستالين بإقامة قيصرية روسية كبرى مركزها الكرملين ؟

* * *

هل تستطيع روسيا أن تثير حرباً ؟ هذا هو السؤال الذى

المـــــازنى فى عهدين

بين ابراهيم الكاتب وابراهيم الثانى

الأستاذ غائب طعمة فرمان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

فى نهاية رحلته ... يدلف إبراهيم الكاتب إلى المقبرة ... العالم المليء بالذكريات ... لتذكره بالموت ... ويملأ عينيه بالرفات الباقى من حيوات كثيرة ... وما أشبه الرفات بالذكريات !.. أليست هى بقايا رفات لحبه الماضى ؟!

وهناك فى ذلك الجو الساكن الرهيب يفكر فى أمر هذه الحياة العجيبة الغامضة الغريبة التى يمتزج فيها الصراخ بالغناء ، ويختلط بها الألم بالطرب ... وهو يردد « لا شك فى أن الحياة عمياء صماء ... فليتها توهب البصر عنية لترى هذا الخليط من الحسن والقبح ، والخير والشر ! ويا ليت ! من يدرى ماذا تصنع إذن ؟.. أترى يثور المجل بها ، فتعصف بكل شيء وتمحوه ، أم تأخذ فى إصلاحه وعلاجه فى صبر وأناة . » ... أما لو كنت أنا الحياة لتناولت ما أخرجت كفاى من طينة الأرض المحدودة ، ودككته وحطمته ، ثم ذروته لهذه الرياح .

وتلك فلسفة ابراهيم الكاتب التشاؤمية ... تلك الفلسفة القاتمة التى تعتبر الحياة « قبضة ريح » و « حصاد الهشيم » و « باطل الأباطيل » وهى فلسفة الكتاب المقدس الذى أشربت نفسه حكمته — كما يقول الدكتور محمد مندور .

ويدركه الأعياء فيقول لنفسه :

« الموت على الأقل راحة ... فليت المادى يعجل بنا ، فقد سئمت الحياة ، ومللت النظر فى وجهها الملطخ ، وثوبها المرقع ، واشتقت أن أرقد هنا إلى جانب ... » .

ولكن صوتاً قوياً يصرخ من جانب القبر ... « لا ... » .

ويظل القول يعاتبه فيقتنع ابراهيم بذلك ويقول :

« حسن ... سأحيا من أجلك ، وأتق المهالك إكراماً لك ، وظناً بك أن تلحق بالأموات جداً . »

يجابهنا اليوم ، وفى الإجابة عنه نقول إن خطط روسيا الحربية يجب أن تبنى على اقتصادها الصناعى فى حين أن المعلومات عن هذا الاقتصاد غير متوفرة تمام التوفر . ومع ذلك فهناك عدد من الحقائق الأساسية يمكن التكهن بواسطتها . ولنبدأ أول ما نبدأ بالسكان ثم ندرس بعد ذلك مساحة البلاد نفسها . وفى هذا المجال من الخطأ الظن بأن روسيا إقليم ضخم ذو ثروة وإمكانيات غير محدودة . فمساحة روسيا تبلغ ما مقداره (٤٥) مرة بقدر مساحة ألمانيا ؛ إلا أن أكثر من نصف مساحتها غابات ، وما يقارب خمسها صحراء أوشبه صحراء ، ولا تتجاوز المنطقة الخصبة عن المساحة الحقيقية . وهذا يعنى أن قابلية روسيا لإعاشة (١٨٢) مليون نفس لا تتجاوز قابلية أمريكا لإعاشة (١٤٢) نفس ، ويعنى أيضاً بأن الروس سيعانون دوماً نقصاً فى غذائهم وستبقى روسيا مدة طويلة من البلدان التى تدركها المجاعات .

ويوجد حوالى خمسة ملايين من الروس مشتتين فى مناطق بعيدة تشتتاً أضاعهم فى الغابات والمجاهل الواسعة ، وكذلك فإن عدد السكان الروس العاملين لا يتجاوز عدد السكان الأمريكيين العاملين . وإذا أضفنا إلى ذلك أن أغلب المصانع الروسية متركزة فى المثلث الذى يمتد من « لينينغراد » و « أوكرانيا » غرباً إلى المناطق الصناعية الجديدة فى وسط سيبريا وهى المنطقة الروسية المنتجة الوحيدة ، وأن هذا المصدر الرئيسى المتركز داخل المثلث مكشوف تماماً ، عرفنا مقدار انحطاط القابلية الصناعية فى روسيا ومقدار تعرضها للخطر فى حالة نشوب حرب حديثة .

ويبلغ الإنتاج الروسى اليوم إنتاج الولايات المتحدة قبل ٤٨ سنة . ونحن نعرف أن الحرب قد أتلفت الكثير فى ألمانيا وإيطاليا واليابان وإنجلترا إلا أن التلف الذى حصل فى روسيا يفوق كل تلف سواه ، فقد خسرت روسيا ٥٨ بالمائة من طرقها الحديدية و ٤٤ بالمائة من قوتها الكهربائية و ٤٥ بالمائة من إنتاجها من الحديد و ٥٥ بالمائة من إنتاجها من المواد الغذائية ، كما خسرت الملايين من البيوت والبنايات والجسور .

(البقية فى العدد القادم)

فؤاد طرزى المحامى

ولكن — من أجل مَنْ ؟.

« من أجل التي لها يحيا ، وفي سبيلها يمسي ، وبها وحدها يمضي طائعاً أو كارهاً — من أجل نفسه ! » .

* * *

ويمر ذلك العهد — عهد العاطفة الصارمة ، والحب الجارف ، والاندفاع وراء القلب المرهف — عهد كان أخوف مايخافه ويضجر من شأنه هو العقل — العقل الذي لا يستسيغ تصرفات قلبه الجامح ، ولا يطمئن إلى عاطفته الحارة — فكان ابراهيم الكاتب يقول :

« أوه — العقل ! . العقل ! . ليت المقادير حرمتنا هذه النعمة التي لم نتن بها » ثم ينقضي عهد العواصف واليأس والقنوط .

وتنقلب صفحة مليئة بالأشجان — تتطلع علينا صفحة ثانية تقص علينا قصة حيـــاة أكثر اطمئناناً ، ورضى بنصيبها ، وفهماً لدنياها — قصة تزول عنها حمى العاطفة ونزواتها وطيشها ، وتنقلب إلى حكمة ودراية واتزان .

تلك هي حياة ابراهيم الثاني — أو إذا أردنا الدقة — حياة ابراهيم الكاتب بعد أن تغير تغيراً كبيراً ، أو كما عبر المازني نفسه « ولو أمكن أن يلتقي الابراهيمان — ابراهيم الكاتب وابراهيم الثاني — لاحتاجا إلى من يقوم بينهما بواجب التعريف »

فابراهيم الثاني اليوم في العقد الخامس من عمره — أورثته حياته المرهقة ، وإحساسه الدقيق ، وذكرياته الطويلة ، وسواساً قوياً يضنيه ، ويأخذ بمجامع قلبه ، وقلقاً صارماً يستحوذ على فكره — « فقد كان أخوف ما يخافه أن يكون قد شيخ ، أو أشفى على الشيخوخة » فهذا الهاجس يعذبه دائماً ، ويحيل حياته إلى عذاب نفسي أليم — وينغص عليه عيشه — وكأنه يلمح على عتبة الحياة شبحاً مدبراً هو شبح شبابه حاملاً معه كل حلم من أحلامه ، وكل زهرة من زهرات ربيعه .

ويزداد هذا الوسواس بعد موت أمه ، ويقوم في خلده أنه شب عن الطوق جداً جداً !، ودخل مداخل الرجال الذين لا يحتاجون إلى تعهد ورعاية — فهو يدلف إلى الشيخوخة بقوة لا يستطيع لها دفعاً ، ويخلص من نعيم الشباب وهو مثلج القلب بالعواطف.

ولكن — مهلا ما الشباب — أليس هو إغماء وشرود يستوليان على النفس — وهل خلى ابراهيم من إغماء الشباب والشرود ؟!

ولكن اليأس المفني يدركه حين تصور له أوهامه ، وتلف أعصابه أنه موشك على الموت ، ذلك العالم المجهول لشد ما يخيفه ، ويفزعه ، وذكراه وحدها كفيلة بأن تقلقه — « يا ويحه إذا رأى جنازة أو فاجأه عويل نسوة على ميت ... » .

غير أن شيئاً من الاطمئنان يسري في نفسه حين يتزوج ، ويرى من زوجته امرأة عظيمة الإخلاص ، حنوناً تترفق به ، وتحبه ، وتسهر على مرضاته ، وتقوم مقام الأم الرؤوم ، والصديقة الوفية ، والزوجة المخلصة .

ولكن الإحساس بالشيخوخة والمرض لا يلبث يطارده ، فتنقلب عاطفة ابراهيم الكاتب إلى برود ، وينسخ العقل والتفكير أحكام العاطفة ، وتتحول النار المضطرمة إلى رماد ! .

وتخلو حياته من العواصف ... فالاتزان عماد حياته ، فلا الحب يهزه — كما كان يهز خلفه — ولا الحزن يأخذ بأفكار نفسه ... فإذا قام الحب بينه وبين امرأة على رغمه ، وتصارحه امرأة بما في صدرها من كامن الحب يقف كالشيخ الجليل أمام النار المتوقدة التي تطلب الوقود ... ويحاول أن يخمدها بحكمته .

دعني أنقل لك موقفاً من مواقف حكمته لترى مقدار التغير الذي أصاب ابراهيم الكاتب .

« عايدة » فتاة عزيزة تعاني الكبت الشديد ، والحرمان من كل ما عسى أن يكون فيه إرضاء للأنوثة ، وتلطيف من حدة ثورتها الطبيعية ، وقلة الثقة بنفسها ، كثيرة الوسواس ، تنتابها الأزمات العصبية وتتركها مهدمة محطمة ... وهي مع ذلك ذات جمال وفتنة وقوام رشيق ... تتعرف إلى ابراهيم ، فترى فيه رجلا يملأ عينيها ، وترتاح إليه ، وتهرب إلى كنفه من رمضاء الحياة . وتجد في صحبته ملاذاً من وساوسها وأوهامها ، وكهفاً تسكن إليه حين تعصف العواصف في سماء نفسها القلقة المشتتة — وعلى مر الأيام يتسلل عمار الحب إلى صدرها ، حتى يضيق به ، فتصارحه بذلك :

« أنت حبيبي — نعم — لا تفتح فمك هكذا كأني

رميتك بحجر — ما حيلتي ؟. كن منصفاً — ألقاك كل يوم وأسمع حديثك، وأشعر بقربك، ولا أرى أو أسمع سواك، وأحس عطفك — لقد علمتني أشياء — وإنك لتشغل مني — ولا أمل لي في الحياة — وليس لي غيرك — أنت عزائي فيها . »

ثم — تلقاه كل يوم . . وتتحدث معه ، وتشعر بقربه . ولكن قلبه لا يتحرك لها ، ولا يستجيب لنداء فؤادها . . . ما خطبه ؟. لقد خمدت في جذوته النيران !!. فيجيبها جواباً أشار به عقله ، ولم يستشر هواه :

— « اسمعي يا عايدة ... إنك عزيزة عليّ ، أثيرة عندي — ولكن الحب شيء آخر !. لا ينبغي أن يكون بيننا هذا — إنه يفسد كل شيء عليّ وعليك !!. أنت فتاة صغيرة عزيزة ومستقبلك كله أمامك — وأنا رجل كهل قد خلفت صباي ورائي . ثم إنك زوجة تحبك وتأمنك . اسمحي لي أن أقول إني لا أصدق أن فتاة مثلك يمكن أن تحب رجلا مثلي — كلا — ليس هذا حباً وإنما هو فورة إحساس — إنها حركة نفس مكبوتة ليس إلا — نشوة عارضة تحسبينها ، وتتلقين وتوهمينها حباً . »

إنه صوت العقل — العقل الذي ركن إلى الاتزان ، وابتعد عن صحراء الحب وعطشه — وقد فطنت الصغيرة عايدة لذلك فصرخت في وجهه قائلة : « إنك آلة مفكرة لا إنسان من لحم ودم ! »

وقد صدقت عايدة — تلك التي ماتت وهي تعاني آلام الحب الجروح الذي وقف متضرعاً أمام هيكل العقل الكئيب — وإبراهيم الثاني يعرف مبلغ تحكم العقل فيه فقال يصف نفسه « ويعرف من يعرفونه أنه رجل عاطفة ووجدان ، وإحساس مرهف وأعصاب كالأوتار المشدودة — ولكنهم كثيراً ما كان يخفى عليهم أن عقله مسيطر على عاطفته ، وأن زمام نفسه لا يفلت من إرادته ، وأن العواطف عنده تتحول إلى فكرة — فهي غذاء لعقله ، كما يتحول الطعام قوة في بدنه — »

وأين هذه القصة الباردة من لهيب العاطفة ، وحرارتها في إبراهيم الكاتب ؟. إبراهيم المندفع وراء قلبه — إذا استقر الحب في سره مدة عذبه ، وانقلب حسكا لا يجد الإرادة القوية التي تقف دون إنشائه .

ويلذ لإبراهيم الثاني أن يكون طبيباً نفسانياً يدرس مرضاه ، ويسدي لهم النصح ويهديهم سواء السبيل ، ويقف أمام « المشرحة » وأمامه نفس تتعذب وتتلوى من الألم — وفي صدره إرادة لا يقهرها أي قاهر .

وينفرط عقد القصة ، وتبدو الحوادث مفككة الأجزاء حتى ليخيل إليك أنك أمام مذكرات لطبيب نفساني يسرد أعماله النفسية فحسب .

وتنطوي مع صفحة الشباب المندفع صفحة أخرى هي صفحة تشاؤمه وحزنه ويأسه وما يخيم في سماء حياته من غيوم .

واستسلم القلب المفكوك إلى القناعة ، وانتقل الفكر إلى أحضان الواقع :

« إن الدنيا ليست بالجنة ، ولم تخلق على هوانا ، ولا كان لنا رأي في خلقنا نحن — وإنما جئنا لأن نواميس الحياة اقتضت أن نجيء ، فنير عجيب أن يكون ثم ما يسخطنا ولا يرضينا ، ولو ذهبنا نتسخط كل ما لا يرضينا لما عادت الحياة محتملة ، فالصبر والحكم وتناول الأمور برفق وتسهل ، أوجب ما يجب ، وأدل شيء على حسن الفهم وصحة الإدراك ، وليس هذا من قبيل قولهم ليس في الإمكان أبدع مما كان — فإن كل ما في الدنيا قابل لتحسين وإصلاح وتهذيب — وإن لم يكن في ذاته غاية في السوء والفساد — »

— وأهرق كأس الحزن على أطلال الماضي ، ولم تشغله أشباح الزوال ، ولم تمر فكرة الرؤى القاتمة ، وتساوى عنده قصر العمر وطوله في مقياس الفكر والإحساس ، والشعور والإدراك :

« إننا أعطينا الحياة ولم نعطها بشرط ، وقد أعطيناها لنحياها لا لنقطع نفوسنا حسرات على أنها لا محالة زائلة — ولا قيمة لطول العمر أو قصره فإن العمر لا يقاس بعد السنين بل بمبلغ ما يعمره من الإحساس والفكر » .

وكفرحة الراهب برجوع الضال إلى ديره يفرح إبراهيم حين يرجع أحد مرضاه — أحد أشخاص روايته — إلى الطريق السوي — فاليوم يعيش في فكره — أما قلبه فقد دفنه في الماضي البعيد .

(بغداد) غائب طعمة فرمان

ركن المعتزلة :

قدرة الله في مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

ردّت المعتزلة جميع صفات الله إلى ذاته . فإذا تحدثوا عن قدرته تعالى ، فهم ينظرون إليها كأنها وجه آخر من أوجه الذات يبحثونها على زعم أنها اعتبار ذهني ليس إلا وغير موجودة حقيقة في الذات .

ما يقدر الله عليه :

كما أن علم الله يشمل كل شيء ، كذلك قدرته تعالى منبسطة على كل شيء — وتميز المعتزلة بين قدرة الله وما يقدر الله عليه ؛ ويقول أبو الهذيل في هذا الصدد : إن لما يقدر الله عليه غاية ونهاية في العلم به والقدرة عليه والإحصاء له ، ليس يخفى على الله منه شيء ، ولا يعجزه شيء منه[1] . ومن أدلته على ذلك قوله تعالى : (إنّ الله على كلّ شيء قدير)[2] . (وبكلّ شيء عليم)[3] . (وأحصى كلّ شيء عدداً)[4] .

كما أنه لا شيء يغيب عن علمه تعالى ، كذلك لا شيء يخرج عن قدرته تعالى ؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لكانت قدرة الله عاجزة متينة ، وعليه تكون ذاته ناقصة ؛ وفي هذا تناقض لأن علمه وقدرته تعالى هما ذاته .

وحين يقول أبو الهذيل ومعه المعتزلة أجمع : إن الله على كل شيء قدير ، هل يعني هذا القول أن قدرته تعالى لا يمكنها أن تتعدّى حدود ما قدر عليه وأنها تحققت كاملة فيما قدرت عليه كما أن علمه شمل كل المعلوم ولا يمكنه أن يتعداه ؟ وبمعنى آخر هل لقدرة الله حدّ هو هذا العالم المخلوق ؟ ولو انبسطت على ما ليس متحققاً أو ممكناً لكانت قدرة بدون مقدور ؟

(١) الخياط : كتاب الانتصار ص ٩

(٢) النحل ١٦ — ٧٦ ، والبقرة ٢ — ٢٠

(٣) البقرة ٢ — ٢٨

(٤) الجن ٧٢ — ٢٨

يحكي ابن حزم عن أبي الهذيل بهذا الخصوص قائلاً : وقال أبو الهذيل بن مكحول العلاف إن لما يقدر الله عليه آخر ولقدرته نهاية لو خرج إلى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء أصلاً ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا إحياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على أن يفعل شيئاً أصلاً[1] .

ويقول ابن حزم في مكان آخر : وكان علي الأسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول إن الله عز وجل لا يقدر على غير ما فعل[2]

إن هذين القولين اللذين يذكرهما ابن حزم لا يعطيان فكرة صحيحة عن قول أبي الهذيل والأسواري ولا عن قول المعتزلة فيما يختص بقدرة الله . ويكفينا أن نرجع إلى تعريف المعتزلة لقدرة الله لندرك أن في مفهومهم القدرة هي الذات وأنها غير متناهية . وإذا بدت لنا هذه القدرة بواسطة بعض الأشياء المتحققة فالمعتزلة لا يستنتجون من ذلك أن قدرته تعالى محدودة بهذه الأشياء لأنه زيادة على ما تحقق من الأشياء توجد أشياء ممكنة وغير متناهية في العدد تتحقق في الزمان أو خارجاً عنه ، ولكنها لا تخرج عن قدرته تعالى لأن هذه القدرة لا متناهية كالذات . فعلى ذلك إذا كان ما تحقق وما يتحقق من الأشياء محدوداً في العدد والكم والأبعاض فإن هذا شيء لا يعني أن قدرة الله تقف وتنتهي عند هذا الحد لأنها غير متناهية .

تجنب المعتزلة للمذهب الحلولي Pantheisme :

كما أنه لا يوجد عالم بدون معلوم ولا قادر بدون مقدور عليه ، كذلك توجد موازاة بين الله والعالم . فمن جهة نرى علماً وقدرة غير متناهيين ولهما موضوع ؛ ومن جهة أخرى نرى موضوعاً لا متناهياً وأزلياً نوعاً ما ، لأنه يقابل فاعلاً متحلياً بهاتين الصفتين : صفة العلم وصفة القدرة الغير متناهيتين ؛ ألا وهو الله الذي هو في مذهب المعتزلة كله علم وقدرة .

فيكفينا أن ندمج فكرة الله هذه (وهو الفاعل) في العالم (وهو الموضوع أعني موضوع العلم والقدرة) حتى ننتهي إلى المذهب الحلولي وهو خلط الله وإدماجه في العالم . ولكن المعتزلة تميز دائماً بين ماهية الفاعل وماهية الموضوع ، وهذا ما أدّى بهم

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٠

إلى التكلم في العدم واعتباره شيئاً متميزاً تماماً عن ماهية الله . والعدم في مذهبهم هو مادة العالم التي ينقصها الوجود والله يمنح هذه المادة الوجود ليكون العالم المخلوق .

العلاقة بين علم الله وقدرته تعالى :

قالت المعتزلة إن علم الله هو هو ، وإن قدرته هي هو ؛ فعلى ذلك تكون الذات هي العلم والقدرة . فإذاً علمه وقدرته تعالى يختلفان تمام الاختلاف عن العلم والقدرة عندنا لأنه كثيراً ما يقوم الخلاف بين العقل وهو عندنا ملكة المعرفة ، وبين الإرادة وهي عندنا ملكة التنفيذ والعمل . وكم من الأحيان ندرك الشيء الحسن ونعزه ولكننا بالرغم من ذلك نفعل العمل السيء — لكن في الله العلم هو القدرة والقدرة هي العلم ؛ لذلك نجد عليًّا الأسواري المعتزلي يشدد بحق على العلاقة بين علم الله وقدرته إذ يقول : إن من علم الله أنه سيموت ابن آدم ابن ثمانين سنة ، فإن الله لا يقدر على أن يميته قبل ذلك ، ولا أن يبقيه طرفة عين بعد ذلك . وإن من علم الله من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فإن الله تعالى لا يقدر على أن يبرئه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعُد ، ولا على أن يزيد في مرضه طرفة عين فما فوقها[1] .

يدهش ابن حزم كل الدهشة من هذا القول في حين أن المعتزلة تجده قولاً صحيحاً معقولا منطقيا لأنهم يردون جميع الصفات إلى الذات : فعلم الله هو ذاته كما أن قدرته هي ذاته ، فما يعلمه الله فهو قادر عليه ولا يجوز خلاف ذلك ، وما يقدر عليه فهو يعلمه ، ولا يجوز خلاف ذلك في مذهبهم — فهم لا ينظرون إليه تعالى كما نحن ننظر إلى الإنسان الذي يفكر ويعلم ويقرر ثم لا ينفذ أو ينفذ خلاف ما قرر . لا . لأن علم الله هو قدرته . وليس هناك أي مشابهة بين الله تعالى والإنسان . لذلك نجد أكثر مؤرخي الملل يدهشون لأقوال المعتزلة التي تبدو لهم غريبة ؛ ولكن عند ما ندرك أصل مذهبهم وهو رد جميع الصفات إلى الذات نفهم بسهولة هذه الأقوال ونجدها نتيجة منطقية للأصل الذي بنوا عليه مذهبهم .

(١) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٥٠

هل الله مكلف بفعل الأصلح ؟

تقول المعتزلة : أن الله مكلف بفعل الأصلح . وهذا القول نتيجة منطقية لرأيهم في ماهية الله اللامتناهية والكاملة إذ أنهم يردون إليها العلم والقدرة . ولما كان الله كاملاً فلا يمكنه أن يقف عند ما هو غير كامل وإلا أصبح هو تعالى أيضاً غير كامل . وعلى هذا القول بنت المعتزلة رأيها في التفاؤل . ويقول النظام والجاحظ والأسواري والكعبي إن الله لا يوصف بالقدرة على ترك الأصلح من الأفعال إلى ما ليس بأصلح[1] ونحن لا نعجب من رأي المعتزلة هذا لأن الله وهو كل الكمال لا يعزم على خير ثم يميل إلى خير آخر أسمى من الأول كأنه تعالى يتدرج في مراتب الكمال . فإذا كان الأمر كذلك لم يبدأه كلي الكمال؛ إذ أن في هذا الخير الأسمى الذي مال إليه الله تعالى بعد تركه الخير الأول يوجد كمال كان ينقص الأول وهذا الكمال كان سبباً في تحرك الله من درجة في الكمال إلى أخرى أسمى منها . وهذا التحرك دليل على النقص والنقص برهان على عدم الكمال . وبناء على ذلك يمكننا أن ندرك بسهولة لماذا كان أبو القاسم الكعبي المعتزلي يقول بإيجاب الأصلح للعبد وأن الإيجاب على الله تعالى محال لاستحالة موجب فوقه يوجب عليه شيئاً[2] .

التفاؤل عند المعتزلة Optimisme :

يفوه ابن حزم بهذا التفاؤل عند المعتزلة حين يقول : وقالت المعتزلة كلها إن الله عز وجل ليس في قوته أحسن مما فعل بنا وأن هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على أكثر[3] . ويدافع النظام عن هذه العقيدة الراسخة عند المعتزلة دفاعاً قوياً حيث يقول : إن الله لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ، ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم والنقصان مما فيه صلاح ظلم ؛ ولا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من

(١) الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٥
البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٦٧
(٢) الاسفرايني : التبصير في الدين ص ٥٢
(٣) ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ١٤٦

عذابهم شيئاً[1] . ثم زاد على هذا بأن قال إن الله لا يقدر أن يعمى بصيراً أو يزمن صحيحاً أو يفقر غنياً إذا علم أن البصر والصحة والغنى أصلح لهم ، ولذلك لا يقدر أن يغنى فقيراً أو يصحح زمناً إذا علم أن المرض والزمانة والفقر أصلح لهم[2] .

فإذاً كل ما يحصل فى الدنيا وفى الآخرة هو أصلح ما يمكن للعباد . وهذه نتيجة منطقية لنفى جميع الصفات عن الله وردها إلى الذات . والذات غاية الكمال لا يعترضها أى عجز أو نقص ؛ لذلك يلزم أن يكون ما تعمله كاملا .

لكن الإنسان وهو محدود فى عقله يتساءل أحياناً أى خير يوجد فى بعض الأمور والحوادث التى لا يرى فيها سوى النقص والعجز والآفات . إن المعتزلة لا تحكم على الأشياء بجزئياتها ، وإنما تنظر إلى العالم بأسره وتبدى حكمها عليه بأكمله . ويذهبون إلى القول بأن الصنعة كاملة لأن الصانع كامل . فما يبدو لنا كأنه عجز أو نقص أو آفة ، فكل ذلك يساهم فى خير الدنيا العام ، ويصبح خيراً وصلاحاً .

هل يعنى هذا القول أن المعتزلة كانت تميل إلى صبر رواقى على الآلام والشدائد أم إلى صبر كصبر المسيحيين الذين يرون فى الألم طريقاً لكسب خير أعظم ؟ . لا يمكن الرد على هذا السؤال إلا بعد البحث فى مصدر فكرة التفاؤل عند المعتزلة .

مصدر فكرة التفاؤل :

بالرغم من أن النظام هو أول معتزلى تكلم بوضوح فى التفاؤل يقول الشهرستانى إن النظّام أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجوّاد لا يجوز أن يدخر شيئاً لا يفعله فما أبدعه وأوجده هو المقدور ، ولو كان فى علمه ومقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاماً وترتيباً وصلاحاً لفعل[3] . ويرى هورروفتز أن النظام قد تأثر بفلسفة الرواقيين القائلين بأن الشرّ والخير يتبعهما حتماً عقاب أو جزاء ، وذلك حسب قوانين ثابتة لا يمكن

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥
الجاحظ : كتاب الانتصار ص ١٧ و ٢٣
الشهرستانى : الملل ج ١ ص ٦١
(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١١٥
(٣) الشهرستانى : الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦١

تغييرها أو تحريفها . فعلى الإنسان يتحمل بصبر وسكوت المصائب والشدائد والآلام إذ لا يمكنه أن يغير مجرى الأمور وسننها . ولكن شتان ما بين رأى الرواقيين ورأى المعتزلة من فرق فى التفاؤل . إن هؤلاء يرون فيما تدعيه شراً سبيلا لخيراً أكبر وأعم . فلا يمكننا أن نشاطر المستشرق هورروفتز رأيه هذا القائل أن المعتزلة قد تأثرت بالرواقيين ، لأن المعتزلة لا تنظر إلى الألم فى حد ذاته ، بل ترى فيه سبيلا للخير .

ويقول البغدادى من جانبه إن النظام تأثر بالمثانية القائلين إن الله إله الخير لا يمكنه أن يفعل إلا الخير ولا يمكنه أن يفعل الشر ، لأن الشرّ لا يصدر إلا عن إله الشر . ولكن النظام ردّ على الثانية قولها بالاثنين (إله الخير وإله الشر)[1] .

فتكون المعتزلة قد بحثت أقوال قدماء الفلاسفة وأقوال المثانية واستخلصت منها قولا يتفق وكمال الله تعالى . وجاء قولها متفقاً أيضاً وفكرة المسيحيين فى الألم كطريق لخير أعظم .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الجاحظ : كتاب الانتصار ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ و ٤٨ ، ٤٩

ماذا علمتني الحياة ؟

تأليف الأسقف و . ر . أنج

بقلم الأستاذ علي محمد سرطاوي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

أرى من واجبي أن أذكر شيئاً عن آرائي في الدين ، لأن دين الإنسان الصحيح هو ما يتعلمه في مدرسة الحياة ، وكثيراً ما يختلف عن المعتقد الذي يعتقده وهو صغير . لقد نشأ والداي في مكان ناء عن المدن في الريف ، وكانا من المشايعين والمتعصبين لعقيدة التركتاريين القدامى من اتباع بوسي و كبل (Posey—Keble) وهم فئة لا وجود لها اليوم ، يتركز معتقدها في الصلاة وعدم الإيمان بطقوس الكنيسة . وهم يؤمنون إيماناً حرفياً بما في الكتاب المقدس ، وبصورة خاصة بما نشره الحواريون من تعاليم لم تثبت تاريخياً . ولقد كانوا متقشفين على الطريقة البيوريتانية من حرمان النفس والبذل للمحتاجين . كان يوم الأحد مقدساً جداً ؛ لا ألعاب فيه ، ولا قراءة في كتب دنيوية . ولسبب لا نعرفه كانت تحرم علينا قراءة الروايات ذات (الغلاف الأصفر) [1] حتى روايات ثاكاري وديكنز كانت تحرم علينا .

أما قصص شكسبير ووالترسكوت فكانت تقرأ علينا بصوت جهوري ، لقد كانت ثقافة جيدة على عيوب الرقابة التي فيها .

لكنني سرعان ما تمردت على ذلك ، وأحسب أن أبي لم تتغلغل تمردي طبيعة حياتها ، ولم يسرها مطلقاً تقدمي المطرد في سلك الكهنوت لأن الرأي السائد في ذلك الزمن كان يتلخص في أن الرجل المفكر لا يصلح لخدمة الكنيسة . إنني لم أفكر مطلقاً في المعتقدات الدينية إلا عندما صرت محاضراً في جامعة اكسفورد . لم يكن يسمح لنا في إيتون بالتفكير في مشاكل الحياة ، وحينما كنت طالباً في الجامعة لم يكن لنا هم غير التنقيب عما تطلبه لجان الامتحانات . أما في اكسفورد فإن أقل محاضر يجب أن يكون فيلسوفاً .

[1] قصص رخيصة تافهة ، تطبع على ورق أصفر وغلافها كذلك ، كانت شائعة في منتصف القرن التاسع عشر . (المترجم)

لقد كان الصراع بين الدين والعلم — ذلك الصراع الذي أثار ضجة كبيرة في القرن الماضي — يبحث من جميع وجوهه بحثاً مستفيضاً يبدو لنا الآن سخافة مضحكة . أن المعتقد الأرثوذكسي يعتمد في أصوله على النبوءات والمعجزات المتواترة . ليس هنالك سبب يحملنا على الاعتقاد بأن في مقدور البشر معرفة الغيب . إن المسيح نفسه قد اعترف بعجزه عن معرفة زمان يوم القيامة .

والبحث في صحة تحقيق النبوءات المزعومة يقودنا إلى سبل ثلاث : أما أن تكون النبوءة قد قيلت بعد وقوع الحادثة ، أو أنها حرفت لتوافق الحادثة في سياق لا علاقة لها به أبداً ، أو أن الحادثة اخترعت لتوافق النبوءة . إن الافتراض الثالث يبدو واضحاً جلياً في الانجيل ، والأمثلة على ذلك تتراءى لنا في أسطورة الميلاد في بيت لحم ، وفي أسطورة مذابح الأبرياء ، وفي الهرب إلى مصر .

أما مايتصل بحدوث المعجزات طبقاً لإرادة الله ، فأمر يرجع الإصرار عليه إلى ما تواتر في الماضي من رغبة اقتران وقوع المعجزات مع أحداث خاصة ، وهو في ذاته لا يعود على الدين بربح جزيل . لم يكن قول جوته : (إن المعجزة ابنة الإيمان المزيزة) إلا تفسيراً لمحاولة الناس ربط قوانين الطبيعة الباردة بتيار من حرارة الروح ، والهرب من الواقع الجامد إلى الخيال الجميل .

إن الاستناد إلى رحمة الله ، وأنه يستجيب الدعوات وهو المعتقد الأساسي لكثير من الناس قد يكون في الاستطاعة من جهة أخرى ، كما اقترح ، اختبار أثر دعاء المخلوق إلى الخالق ، بطريقة عملية ، كما اختبرت (التلباثي) وهي نقل الأفكار من شخص إلى آخر — وكما ثبتت في الولايات المتحدة ، وفي هذه البلاد ، على رأي بعض الناس . والخلط البالغ الذي تقابل له تجربة من هذا النوع ، يخفي وراءه الحقيقة المريرة وهي الفشل التام للتجربة . أن الإله الذي لا يعمل — كما يخيل لناس — أما أن يكون لا ظل له في الوجود ، وإما أنه قانون نجم من قوانين الطبيعة .

أما ما يتعلق بالعلم فقد كان الجدل فيه عنيفاً . لقد أنكر علماء العصر الفكتوري « المادة » ، وفسروا العالم بأنه أنواع من (الكم) الميكانيكي ، ساخرين منعاً عما سماه بسهارك « الأجسام التي لا ثقل لها » ، ووصلوا عن طريق ذلك إلى ما سموه « بالنظام

المتماسك المتناسق» . وما دعوه خطأ قانون النسبية لم يكن غير قانون الاستمرار الدائم .

أما العلم الصحيح فلم يكن غير الرياضيات . ليس بالصحيح القول أنها تبصرنا بحقائق لا قيمة لها ؛ لأن الحقيقة في حد ذاتها قيمة مطلقة . إن الرياضيات تضرب صفحاً عن القيم النهائية ولا تؤمن بها ، وتغض الطرف عن قانون الحرارة والعمل الميكانيكي الثاني (ترمودناميك) والذي بموجبه تتحرك الدنيا في اتجاه عقرب الساعة .

أما الدين ، والمثل العليا فقد أضاف هربرت سبنسر كل ما يدرك إلى العلم ؛ وما لا يدرك إلى الدين ، وخطا لزلي ستيفن خطوة أكثر فتحدث عن الحقائق الثابتة والأحلام . لقد ظلت (دنيا القيم) كالضباب على وجه العالم المدرس في النجوم والذرات ، غير أنها احتفظت ببعض محتوها فيما يتصل بالأمور الخارقة للعادة والتي سميت بالمعجزات والتي لم يأبه بها العلم كثيراً . وعلى كل حال سواء كان سبب انتشار مرض الكوليرا الماء الملوث بالجراثيم كما هو الواقع ، أم إلحاد رئيس البلدة التي ينتشر فيها ذلك الوباء ، كما كان اعتقاد كثير من الناس آن ذاك ، فقد انتهت تلك الفصول الهزلية من مسرح الحياة .

عندما أفكر فيما كان يسميه وليام جيمز «التجربة الدينية» وما كان التوس يدعونه بالنور الداخلي أو الإيمان بالروح المقدس ، يروق لي أن أكرس كثيراً من وقتي لدراسة الصوفية والأفلاطونية ، شأن الكثيرين الذين كان يضطرم في نفوسهم مثل هذا الإحساس أن الإيمان بالتدين يكاد يكون أمراً مفروغاً منه ومجمعاً عليه ، وأولئك الذين أعطوا كل ما يملكون ليجدوا الجوهرة الثمينة ، لم يرجعوا صفر اليد ولم يكونوا جميعاً من المسيحيين . لقد كان بلوتونيوس أعظم فلاسفة التصوف في القرن الثالث الميلادي وثنياً . وقد ابتدأنا ندرك الآن أن أشياء كثيرة تستطيع تعلمها من الهنود . وليس أصدق من القول الذي يزعم أن الديانة المسيحية والبوذية قد خسرنا بتدابرهما في طرق الحياة . إن خيال التصوف يبدو لي غامضاً لأنني لم أحصل على معرفة كافية ، ولكنني من ذلك النوع من الرجال الذين لو حدثهم من يثقون به عن وصوله أعلى قمة من جبال العالم ، لاعتقدت إمكان الوصول إلى تلك القمة على رغم عجزي عن الوصول إليها . إن الديانة المسيحية كما يصفها سنت أغسطين ليست إلا الأفلاطونية ممزوجة بعقيدة حلول الروح القدس في المسيح . تكاد معظم الفلسفات تجمع على جعل الإنسان مندمجاً في الشر التي تفهمها الحياة . لكن الديانة المسيحية لا تفصل مثل ذلك ، الله هو المحبة . وكثيراً ما تورد المحبة صاحبها موارد الهلكة ، وحب الله العظيم للناس جعله يضحي بابنه في سبيل إنقاذهم . إن التضحية هي قانون أولئك الذين يتبعون الله ويؤمنون به ويضحون في سبيل الآخرين ويتحملون الآلام ، وكما عبر عن ذلك وليم بن بقوله (لا جزاء بلا تضحية) وكثيراً ما أميل إلى أن جماعة «الكويكارز» قد تأثروا بهذا الرأي كثيراً .

لم تتغير آرائي في شخص المسيح إلا قليلاً . لقد تأثرت في صدر حياتي بما كتبه عن المسيحية شيلي وهارنك والبروتستنتيون من الألمان . لقد وجهت نقداً لاذعاً في محاضراتي في الجامعة لقول ليوزى (أن المسيح ليس إلا فلاحاً من منطقة الجليل في الأرض المقدسة محدود الذكاء) . اعتقد أن استمرار إيمان الحواريين بالمسيح بعد صلبه لم يكن إلا انعكاساً من أنفسهم لما تأثروا به وهو بينهم . ومن غير المعقول أن نؤمن بما قاله ليوزى ونحن نرى الأثر الذي تركته حياة المسيح في حياة الناس مدى الأجيال البعيدة . والاعتقاد بعودة المسيح ليس في رأيي غير انعكاس عميق لحماس روحي لم يستطع الناس تفسيره بغير الأمل العظيم في مستقبل قريب . ألم نجرب ذلك في نفوسنا ونحن نعلق الآمال على وقت سعيد مقبل ، فهل يتغير ذلك الاعتقاد إذا ما أناخ بكلكله علينا وقت سيء مفعم بالآلام ؟

أرى لزاماً علي أن أبين الخطر الذي يكمن وراء ما يسمونه (عبادة المسيح) لقد أساء مارتن لوثر فهم معتقد سنت بول ، ذلك المعتقد الذي كان لا يعني غير صوفية عميقة في المسيح . إن المسيح الذي تعبده الديانة المسيحية هو الذي كان حياً ومات ، والذي لا يفنى أبداً . لقد آمنت بأن الأقسام الثلاثة التي قسم سنت بول بموجبها الطبيعة الإنسانية : الجسد والروح والنفس ، صحيحة من وجهة سيكولوجية . إننا نعيش في عالم المادة ، والروح طليقة تعيش في المادة وما وراءها ، فينبغي أن تكون حياتنا الداخلية تحولاً مستمراً من المادة إلى الروح . إننا نكاد لا نؤمن بإمكان تحويل الشخصية

المادية إلى شخصية غير مادية مطلقة . هذا هو الشرح لضرورة وجود الرمزية في الدين . أما في الحياة المادية فإننا نستطيع أن نرى — كما في المرآة — عن طريق الرمزية . وحينما نمر كل يوم من المنظور إلى غير المنظور ، ومن الحقيقة إلى الخيال ، تكاد تتملكنا رغبة تدفعنا إلى محاولة رؤية المجهول في عالم الزمان والمكان الذي نعيش فيه . لقد قلت في إحدى مواعظي أن من أبسط واجباتنا نحن رجال الدين أن نساعد الذين في بصيرتهم ضعف على رؤية ما لا يدرك بالحواس ، وهو عمل محفوف بالمصاعب . وإذا كان قولي صحيحاً ، كان التقليل من الغموض في الدين أدعى إلى إنارة أذهان الناس وأدعى إلى بلوغ ذلك الهدف عن أقرب طريق . لست أريد أن أتجاوز أكثر من هذا في حديثي لأننا كثيراً ما نسمح لأنفسنا بحرية أوسع في التفكير والخيال .

لقد كان اهتمامي بالغاً بالفلسفة والدين ، وقد ملكا علي جميع أوقات فراغي . ولم يمنع هذا الاهتمام أن تكون نواح أخرى صرفت لها بعض وقتي ورغبتي . إن من حق الفرد في الحكومات الديمقراطية أن يعبر عن أفكاره تعبيراً صحيحاً ، ويتقدم من حوله بما يدور في رأسه من مثل وآراء . وهذا يصدق على رجال الدين أيضاً ؛ غير أنه لا يجوز لرجل الدين وهو يحتل منصباً رسمياً في الكنيسة أن يجاهر بآراء خاصة قد لا يؤمن بها غيره من المسيحيين التابعين للكنيسة . لقد ظهرت محاولات عديدة ليكون للكنيسة صوت في الحياة السياسية ؛ ولكن الكنيسة تجنبت ذلك تمشياً مع قول اللورد أكتون الذي يقول : (إن كل قوة مصيرها إلى الفســاد) . ولذلك احتفظت الكنيسة بحيادها وأمت الجانب الروحي من حياة الناس .

كان أبواي من المحافظين ، وقد ابتدأت علاقة أتباع الكنيسة العليا بالاشتراكية عن طريق جور وسكوت وهولاند ، وكانوا يأسفون أن يكون المستر جلادستون خيراً من دزرائيلي من جهة الدين .

أما ما يتعلق بي ، فإنه ليضحكني أن أذكر — حتى زمن حرب البوير — أنني كنت محافظاً متعصباً على طريقة رديارد كبلنج ، وقد أثرت تلك الآراء في وفي الكثير من أمثالي ، ورأى القرن الجديد انكماش الإمبراطورية البريطانية وتقلصها ، وأصبح لزاماً على الإنجليز أن تكون لهم آراء تتمشى مع التطور الجديد . لقد بلغت الذروة جميع الشعوب التي تقع على شواطئ الأطلسي ، وأصبح اتجاه التوسع الإمبراطوري إلى الشرق ، وانتهى من ناحية الغرب . إنني لا أنسى قول اللورد هلدان في مطلع الحرب العالمية الأولى : (لو ركن الألمان إلى السلم لنالوا كل ما يريدون) . لقد ألقوا بالجائزة مرتين من أيديهم . وقد أخذ عصر الاسترقاق يطل برأسه على الدنيا . إن المستقبل للشعوب التي لديها أرض واسعة ، ومستوى منخفض في المعيشة ، واستعداد للعمل المرهق ، ونحن والفرنسيون لا ندخل في نطاق هذه الشعوب .

كثيراً ما يتراءى لنا أن ثلاثة أخطار تهددنا : أولها حق التصويت العام . من المؤكد أن السياسة ستنحط إلى نوع من المزاد العلني تباع وتشترى فيه أصوات الأغلبيات غير الممثلة . أقول غير الممثلة لأن المفروض أن أصحاب الحرف التجارية والمهن قد مثلهم في المجلس مائة مقعد ، إلا أن الواقع يظهر أن كثيراً من المناطق لا يمثلها أحد غير مدينة لندن والجامعات القديمة . لقد تدهورت معنويات العامل الإنجليزي تدهوراً جعله غير مرغوب فيه عند الشعوب الأخرى .

والخطر الثاني : نمو سلطان الحكومة المركزي من أثر الحربين الأخيرتين ، وفي سبيل القضاء على الطغيان الناشئ ، قد جعلنا أنفسنا فاشيين : إن عبادة الدولة شر أنواع الوثنية . والشعب الإنجليزي يضع قوته في المجتمع لا في الدولة . لكن الدولة الآن تصول وتجول وتتجاوز كل حق موضوع .

والخطر الثالث هو اكتشاف قنابل الذرة ، ذلك الاكتشاف الذي وضع سلاحاً رهيباً في يد الدولة وقوى سلطانها . ليس هناك ما يدعو إلى الخوف من القنبلة الذرية الآن . ولقد بدا ذلك واضحاً في روسيا وألمانيا حيث عوملت الجماهير بأشد ما في الظلم والهمجية من معان . نقول لأنفسنا أحياناً : « إن أعمالاً من هذا النوع لا تحدث عندنا » ، وربما كان ذلك صحيحاً .

لكن الخطر لا يزال موجوداً . إن الطبقات المتوسطة التي تحمي الحرية الشخصية آخذة في الفناء ، والأحرار الذين كانوا في زمن سابق يحمون هذه الحرية أصبحوا في موقف سيء لا يحسدون عليه . حينما كنت طفلاً كان الأحرار يعيرون المحافظين بأنهم حزب بليد . لقد جنوا على أنفسهم وهم يفسحون المجال للامتيازات

مع شاعرة «من الأعماق»

للأستاذ عبد المحسن الحكيم

الشعر الآن غيره قبل حين – حيث كان لا يطلب منه إلا أن يسمو في اللفظ أو في المعنى على اختلاف في فهم الشعر ووظيفته . أما الآن فإن أهم وظائفه أن يصدق في نقل أحاسيس الشاعر وتأثره بالتجارب الشعورية التي تفيض بها الحياة ... وأحسب أن الشعر بلغ منتهاه من التطور – حين تحرر من سلطان اللفظ وسلطان المعنى الذي لم يكن للشاعر به عهد – وإنما هو تخيره من بين المعاني لأن غيره من قراء الشعر يعجب به ويدهش له ، وحين قدرله أن يكون وقفاً على صاحبه ... يعرض دقات قلبه لوجه جميل ، وحركات شعوره لمنظر جميل أو منظر قاتم – تمثله الحيوات التي يحياها مواطنوه .

وجميل أن يطلب[1] من الشعر أن يكون نتيجة إحساس .. قبل أن يكون نتيجة فكرة .. تعرض على أنها حكمة خالدة أبدية .. فهو إذ ذاك يكون شعراً .. وشعراً فقط – لا منبراً لوعظ وإرشاد وتنبيه إلى الحقائق .

(١) الطلب فيما أذكر للأستاذ سيد قطب

وإن هذا الذي قرأته في عدد سالف من الرسالة ، للآنسة الفاضلة والمطوقة ، لهو شعر حقاً .. ينبع من الإحساس ويصدر عنه – كما لو لم يكن غيره مصدراً لشعر في القديم والحديث .

وليس أصدق في نقل الأحاسيس إلى لغة الشعر من قول الآنسة الفاضلة تملي وحدتها – وهي إذ ذاك تقطع مفاوز الحياة . دون أن تلتقي بين يديها من يؤنس وحشتها ويشعرها أن الحياة غير الملل والصمت والظلام – لم تلف بين يديها هذا الإنسان – وإذا الحياة عندها .. تيه معمى .. ليس فيه غير ظلام مطبق وملل وسأم ووحشة فهي تقول :

سرت وحدي في غربة العمر ! في التيه المعمى ، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيري ولا أبصر قصداً يوفي إليه ... طريق
ملل في صميم روحي منســـاب ، وفيض من الظلام الدفوق
وأنا في توحشي تنفض الحيرة حولي أشـــباح رعب محيق

سرت وحدي في التيه و لا قلب يهتز صدى خفقة لقلبي الوحيد
سرت وحدي لا وقع خطو سوى خطوي على المجهول المخوف البعيد
لا رفيق ، لا صاحب ، لا دليل غير يأسي ووحدتي وشرودي
وجمود الحياة يشفي على عمري ظـــل الفناء – ظل الهمود

والإحساس الكبير هنا تتوزعه جميع هـذه الأبيات .. ولكنه يظهر في بعضها بصورة أكبر ، تكاد لا تملك نفسك من الإعجاب بها ... وقد لا تظفر مني أكبر قطعة موسيقية أو أبلغ

والآراء الحديثة . ويذكرنا ذلك بقول جلادستون (لن يمكن للشيوعية الاشتراكية إذا قدر لها أن تكون في هـذه البلاد غير حزب الأحرار) . وهربرت سبنسر كان يرى أن الاشتراكية ربيبة الأحرار أيضاً .

إنني أرجو أن يكون في إزال إله المال عن عرشه ، بعد أن أصبح صفر اليدين ، بعض النفع للطبقات التي هي خليقة بذلك وكانت وكانت محرومة . إن كل ما يطلب هو إزالة ويلات الحرب ، وليس ذلك – في اعتقادي – بعزيز . ومن يدري فلعلنا في مطلع عصر مظلم رهيب . حينما يوجد الأمل توجد الحياة . والغرب لم يفقد آماله . إننا نجتاز أعظم كارثة حلت بالبشرية ، ولكن كل مجد – ما لم يكن مدمراً – يترك رد فعل . وقد برهنا على أن في استطاعتنا احتمال الآلام دون مضض أو تذمر أو تراجع .

ليس هذا كل ما أريد قوله . لقد علمتني الحياة ما كنت خليقاً بتعلمه منها . لقد كنت طموحاً ، ولا أذكر أنني قلت أو كتبت أي شيء لا يرضى عنه ضميري ، في سبيل إرضاء الآخرين .

يقول الناس عني إنني كنت كثير الحركة ، وكثير الحركة تتوارى وراء روحه الثورة . إن الناجح في الحياة هو ذلك الذي يطفو على ماء نهر الوجود كالكلب الميت؛ يتملق صاحبه وكأنه ينبض بالحياة . إن الصرخات التي لا معنى لها اليوم ليست إلا صدى أحلام الأمس غير البعيد .

آمل أن يكون جزائي ما كنت أحمله في عواطفي من الصدق ، ذلك الصدق الذي لم أستطع خدمة بلادي به إلا قليلا .

(بغداد) علي محمد سرطاوي

(الرسالة) تلك تجاوب رجل من رجال الدين المسيحي ؛ فمتى يكون للإسلام رجال كهذا الرجل في سعة الاطلاع وطول باعه وحرية رأيه ؟

لوجة وجدانية من الإعجاب ما ظفرت به بعض التعابير هنا … في هذه الأبيات … من ذلك مثلاً . «غربة العمر» «التيه المعمى» «جود الحياة» . فإن الإحساس الكبير في مثل موقف الشاعرة لا بد أن يعبر عن نفسه بمثل هذه التعابير .. لأنه صادق ولأنه بعد ذلك عميق فائض نفاذ .

وموقف آخر ... هو أيضاً جميل ، يشيع فيه الإحساس باللحظة الكبيرة … التي تغمر الشاعرة … ولكنه لا يظهر بالتعبير عن نفسه وإنما بالعجز عن ذلك. وهو ما أسميه «عي الإحساس» وعندي أن العي ليس وقفاً على اللسان فهو كذلك يصيب الإحساس كما يصيب اللسان على السواء ... وذلك في المواقف الكبيرة التي تضيق بها التعابير ويضيق بها الإحساس نفسه … والشاعرة المجيدة حين تقول :

والتقينا … لم أدر أي قوى ساقتك حتى عبرت درب حياتي
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطوك ؟ كيف انبعثت في طرقاتي ؟
لست أدري، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق في مساريب ذاتي
ويذرّي الرماد عن روحي الخابي ، ويذكي ناري ، ويحيي مواتي

وحين تشيع الاستفهامات … لأن اللحظة كبيرة غمرت الإحساس بفيضها ، وعب هو منها حتى ارتوى ، وزاد بعد ذلك من اللحظة كثيراً … لم يحتوه الإحساس ولم يغمر … فضاق وعجز … وعبر عن هذا الضيق والعجز بهذه الاستفهامات الكثيرة في الأبيات القليلة … وما ذاك إلا لأن الموقف كبير … وكبير جداً … فلتتصور فتاة هائمة … قد أعياها البحث عن الشريك الذي يزيل لهفتها ، ويريها الحياة كما هي لا من وراء الوحشة والوحدة … لتصور هذه الفتاة الهائمة تعبر الدروب وتجتاز المفاوز حائرة يائسة … وإذا هناك في بعض الدروب ألفته … أجل ألفته … عن غير قصد ولا سابق وعد أو انتظار … فسوف تدرك سر الاستفهام وجلاله وروعته … وسوف تدرك أن الشاعرة كانت تحوم حينذاك في السماوات … تبحث فيها عن الصورة التي تمثل هذا المشهد المفاجيء تمام التمثيل … بعد أن فتشت عنه في الأرض … وحين لم تلقه هناك … ألقت حيرتها في الاستفهام وهي تدري أن قصاراها في هذا الموقف هو الاستفهام الذي يبدي عجزها ، في الموقف وبعده .

ولا يفوتني أن أدل على تعبير جميل تريد به الشاعرة الفاضلة مفاجأة اللقاء … هو « كيف انبعثت في طرقاتي » … أرأيت المشاهد كيف تنثال عليك ؟ … مشهد الفتاة الضائعة في الطرقات … ومشهد الطرقات وهي تقفر من الحبيب ، ثم مشهد الحبيب وقد نبض على غرة من الضائعة … ومشهدها هي وقد فاجأها اللقاء … هذه المشاهد التي توحيها كلمات « كيف انبعثت في طرقاتي » مصدرها قوة تكمن في قلب الشاعرة النابض … ومصدرها كذلك حاسة فنية عميقة .

ولأعبر ثلاثة أدوار من قصيدة « من الأعماق » لأقف قليلاً عند قولها البليغ :

ومضت بي الأيام ، لا أنا صرحت ، ولا لمفتق الحبيبة تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صبوة توارت … ووجد
كم حديث حدثتني ! كم قصيد هز روحي وأنت تروى وتشدو
ولقلبي السعيد شيء كعصف الموج ، يطغى تياره … وتعد

والبلاغة هنا تعني مطابقة الإحساس .. يضاف إليها الحاسة الفنية التي لا تكاد تلتقي بلحظة حياة .. حتى تحيلها إلى حياة بعيدة المدى شديدة الإيحاء .. وأحب للقارئ أن يقف على هذا البيت بصورة خاصة :

كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صبوة توارت .. ووجد

ثم يلمس بنفسه جمال الصورة التي توحيها هذه الألفاظ .. وليتذكر القارئ أبداً أنه أمام ألفاظ لا قطعة موسيقية ولا تمثال جميل .

وهكذا تسير قصيدة « من الأعماق » .. إحساس شديد صادق .. وحاسة فنية قوية .. وتعبير جميل موح .. وروح بعد ذلك كله شاعرة طليقة .. وإن بدت أنها مقيدة إلى الأرض بأكثر من قيد .

وإني لأشبه الآنسة المطوقة .. بالشاعرة العراقية المجيدة «نازك الملائكة » .. فقد كانت الشاعرة العراقية دائمة الشكوى من الحياة شديدة التذمر من أسبابها .. أما الآن فقد عطفها إلى الحياة طبيعة عريقة لا يمكن أن تفلت منها مهما حاولت ذلك .. وعلى أي حال .. فإني أريد قبل أن أفارق القارئ أن أتلو معه خاتمة

إلى جـــوته . . .

للأســـتاذ نصرى عطا الله

احتفلت الدنيا بمرور مائتي عام على مولدك ، ومنذ أعوام قلائل احتفلت بمرور مائة عام على رحيلك عنها ... فهل رحلت حقاً وانتهت حياتك يوم غيبوك في التراب كما يرحل عشرات الألوف من أبناء الفناء كل يوم ، أولئك الذين يفدون إلى هذا العالم ويتنفسون هواءه حقبة من الزمن ثم يرحلون عنه دون أن يكون لحياتهم هدف أو معنى أو مبررات ، أولئك الذين يفنون أنفسهم في حياتهم فتنسام الدنيا ويموتون قبل أن تفارق الروح منهم الجسد ... هل مت حقاً مثلهم ؟

لا ، إنك لست منهم ، إن الدنيا ستظل تعتز بك وتتمسك بوجودك وتصر على بقائك في الأحياء ، لأنك من بين أبنائها القلائل الذين تفخر بهم وتحس في وجودهم كبرياءها وعظمتها وتفاسها . إننا — ومن بعدنا الأجيال — نحبك ونجلك ، ونحن نحبك لنفسك ولكننا نحبك أكثر من أجل معجزة الإله فيك ، فكم من أبواب الحياة ظل مغلقاً ، وكم من طرقاتها ظل مظلماً مجهولا حتى أتيت أنت فإذا بيدك المباركة تفتح الأبواب الموصدة ، وإذا بنور عبقريتك يبدد الظلام ، وإذا بالحياة متسعة الرحاب بعيدة الآفاق . لقد كانت الحياة بدونك فرضاً أو عبئاً أو واجباً فإذا هي بك فرحة ونضرة وتحمس لغاية وغايات .

لقد علمتنا أن نضع أنفسنا فوق الصغائر : فوق الحقد والحسد والغيرة والعناد وأن نطهر قلوبنا ونفسح فيها المجال لتلاقي رسالات الخير والحق والجمال . أجل ، في صحبتك يخجل الإنسان من الصغائر والصغار ويتطلع إلى الأعالي ، ينقي نفسه من أدرانها ويصلي لله بحرارة أن يهبه القدرة على السمو بحياته وتنمية مواهبه الخفية واستغلال قواه الكامنة حتى يصبح جديراً بصحبتك وبإنسانيتك الكاملة الناضجة .

إنك تستنهض ذاتنا العليا — وماذاتنا العليا إلا روح الله في هيكلنا البشرى ، وتخلق لنا أجنحة نحلق بها فوق هذه الحياة ، فما نلبث أن نخجل من ذاتنا الصغرى ومن تصرفاتنا الأرضية وتفاهاتنا وحماقاتنا التي ، تعلها علينا في هذه الأرض الشقية ما نسميه بالحكمة العملية ، أو يفرضها علينا ضعفنا البشرى .

أيها الحبيب . إن النور الذي تشعه عظمتك يهدينا إليك ويقربنا منك ويملأ قلوبنا فرحة بك وحباً وإجلالاً لك .

وإذا بالقلب وقد امتلأ حباً لك يشعر أنه لا يستطيع وحده أن يسع عظمتك كلها فيهيب بالعقل والروح والخيال أن يشاركوه العبء العظيم أو النعمة الكبرى .

وكم يسعد العقل إذ يجاهد في توسيع دائرة أفقه ، وكم تنعم الروح وهي ترق معك إلى أعلى الذرى ، وكم يبتهج الخيال وهو ينشر أجنحته ويظل يصعد في الأجواء البعيدة حتى يصل إليك ويحوم حولك .

كل قوى الإنسان وملكاته تلبي نداء القلب وتؤازره في محاولة تفهمك وارتياد تلك المساحات الشاسعة من العالم النفسي ، التي سبق أن جبتها أنت ، رائداً ، ودليلاً ، وهادياً ، ومنشداً ، ومغنياً ! هكذا تهدينا إلى كنوز النفس الإنسانية وعوالمها الواسعة الشاسعة التي تظل مجهولة أو كالمجهولة تحت ستار من غبار معركة الحياة بما فيها من خير وشر ، وسمو وإسفاف ، ونور وظلام ، وهدى وضلال .

إننا نذكرك ونباركك ، لأنك تمنحنا من ذات نفسك ، عن طريق إحياء ما في نفوسنا ما يبارك أيامنا ولياليا ، ويضاعف ويخصب معنى الحياة في قلوبنا ، فكأنك تمنح عمرك مجدداً على مدى الأزمان كل من طرق بابك ورام صحبتك ونشد زمالتك . وعمرك — أيها العظيم — هو خلاصة حكمة الدنيا وفلسفتها وشعرها وما تنطوي عليه من حق وخير وجمال .

إنك ستظل الدنيا تعتز بك وتتمسك بوجودك وتصر على وجودك في الأحياء .

نصرى عطا الله

« من الأعماق » لتكون خاتمة هذا الحديث :

وافترقنا . وبين كفي دمع | لم يزل كل زاده روحى الحيم
كم تلمست عمق عينيك فيه | وبعينيّ أدمع تتضرم
يا لقلبي ! كم راح بين يديه | يهتك الحجب من هواه المكتم
أصغ تسمع عبر الصحارى صداه | يتراءى إليك شعراً مرنم

« المرفق — النجف » عبد المنعم الحكيم

الوتر الهامـــد

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

إن رأيتِ العود في كفِّ مشلول النشيد ؟
كافر الأوتار مصلوب الصدى تيق وجودي
لاهثاً يستنزفُ النغمة من جُرحٍ بعيد
ضارعاً للوهم إن مرَّ ، وللحلم الشريد
بيدي عبدٍ شقيٍّ راسفٍ بين القيود
تلتوي ناره بين لهيبٍ وخمود
ورمادٍ مستجيرٍ من أباطيل الوعود
ورؤى حمقاء لا تعرف أطلال العهود
لا ، ولا تحملُ عن أكنانها زُور الخلود
وحكايات الهوى والوجد والنوح السعيد
والأغاني السارقات النبضَ من طير النهود ...
فاسمعي ، وامضي .. فناري ضيعت كل الوقود
واتركيني واسخري ما شئتِ من أنات عودي !

وإذا أبصرت للكون ظلالاً في عيوني
ورأيت الفنَّ طيراً هائماً حول جُفوني
كلما دفَّ سقاني الريحَ من غاب الجنون ...
ورأيت الحيرة الرَّمضاء تشوي في يقيني
ورياح الشكِّ يرتابُ صداها من أنيني
تتسوقُ الخطو للأعماق ، للسرِّ الدَّفين
تنشب الأنياب في بُقيا رمادٍ من حنيني ...
فاعـذري هلكي ، ويأسي وارحميني
ترحتْ سرِيَّ أهوالُ الليالي والسنين
وانتهى دربي إلى ليـلٍ بنجواه ضنين
فككتْ ظُلمته حتى بوهمي وظنوني ...
أنا من طيرٍ إلى القضبان مشدود سجين
في فلاةٍ تنزع الأوهامُ فيها من سكوني

محمود حسن اسماعيل

أين السعادة ؟!

للآنسة (ن . ط . ع)

قالوا السعادة والمنا ةُ بين جدران القصورْ
حيث الحياة يسيرةٌ لا مطلبٌ فيها عسير
فإذا القصور تكشفتْ عن كل محزون كسير

قالوا السعادة للشبا ب بين عشاق الكمال
ومكارم الأخلاق وال إخلاص في كلِّ الفعال
سحر المعاني غرَّني فشددتُ من فوري الرحال

فإذا المثالُ الكريم يضيع في هذي الحياهْ
وتظلُّ تلطمه الحقا ئق أينما ألقى عصاه
وإذا الدناءة أهلها بالأرض مرفوعو الجباه

قالوا السعادة بين أحضان الطبيعة والزهورْ
حيث الجمال العبقري وذلك العيش النضير
فإذا بأهل الريف قد حُرموا السعادة والسرور

قالوا السعادة حيث تجـ تنبُ العداوة والشقاقْ
حيث المـودة والأما نة والتآخي والوفاق
فإذا كبار الأرض لم يرفعهمُ غير النفاق

رب تُرى أين السعا دة لم نجدها في القصورْ
وبحثتُ في الأكواخ لم أجد السعيد ولا القرير
ولكم تصفحت الوجو ه وما تكنُّ به الصدور

وعرفت أسرار الخلا ئق من مقيم أو شريدْ
وارتدتُ أحضان الطبيـ ـعة علني أجد السعيد
فإذا بكل الناس دا ءٌ بهمُ التردُّد والجحود

ن . ط . ع

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

خطبة الأستاذ الزيات فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية

قال لى بعض الأصدقاء متسائلين : لماذا لم تعقب على خطبة الزيات فى مجمع فؤاد الأول وقد كانت حديث الناس فى المجمع وخارج المجمع ؟ وقلت للأصدقاء رداً على التساؤل الذى يتطلب شيئاً من الإيضاح : أما التعقيب فقد أرجأته حتى يقرأ الخطبة هنا من لم يستمع لها هناك ، وكذلك الخطبة التى سبقتها فى الإلقاء وأعقبتها فى النشر .

والآن ، وبعد أن طالع الناس الخطبتين على صفحات الرسالة أود أن أقول كلمة عن الزيات الصديق ، والزيات الأديب ، والزيات الإنسان — كلمة تتناول هذه النواحى الثلاث جميعاً ، ورائدها الضمير الذى يتفيأ ظلال الصدق ولا تلفحه حرارة الصداقة، ويستروح أنسام الحق ولا تعصف به رياح المجاملة !

أما الزيات الصديق ، فقد قدمته إليك نفحات من الوفاء تجلت فى عباراته ، وما أكثر ما تطمس يد الزمن سطور الوفاء من صفحة القلب نحو من تطول غيبته ، ثم لا ترجى بعد ذلك أوبته — ولكن الزيات فى موطن الذكرى الباقية نحو أنطون الجميل ، كان مثال الصديق الذى يعد المآثر فى حساب الشعور لا فى حساب السنين والأيام . وتلك هى غاية الوفاء ؛ فمآثر أنطون الجميل فى حساب الزيات أو فى حساب شعوره ، تدفعه إلى القول بأن كرسى الرجل ينكره كما ينكر الفرس الجواد راكبه الغر ، أما حساب السنين والأيام ، فهو حساب تاريخ الأدب يوم أن يؤرخ الأدب ، يوم يكون للزيات فيه صفحات تنكر قوله بأن كرسى الجميل ينكره !

ما أكثر ما يظلم هذا الرجل نفسه إذا ما تحدث عن نفسه ! ولكن الذين يعرفون الزيات كما أعرفه ، يعرفون فيه صفتين قل أن تجتمعا لرجل فى هذا العصر الذى نعيش فيه : الحياء ، والوفاء — ومن هاتين الكلمتين يمكنك أن تخرج بأصدق عنوان لكتاب حياته ! ولا تعجب إذا قلت لك إننى كثيراً ما ضقت بحيائه ، وبرمت على وفائه ؛ ذلك لأن وفرة الحياء قد تحول بين صاحبها وبين كثير مما يتطلع إليه أصحاب الطموح ، وقد تدفعه إلى الرضا عن الشئ وهو ضائق به ، وإلى السكوت عن الأمر وهو قادر عليه ، وفى ذلك يقول الزيات فى كلمته : « ولقد حدثتنى نفسى — شهد الله — حين تأدى إلىّ خبر انتخابى لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف ، لا زهادة فى الشرف ، ولا رغبة عن العمل ، ولا فراراً من الواجب ، ولكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أنى أحسن العمل منفرداً أكثر مما أحسنه مجتمعاً ، وربما جملنى — لمنها الله — أعلم الشئ ولا أقوله ، وأسمع الخطأ ولا أصوبه ، وأرى المنكر ولا أغيره ! » .

هذا عن الحياء وهو عجيب ، وما أعجب الرجل بعد ذلك فى مجال الوفاء — أعرف أناساً فتح لهم الزيات قلبه ، وسقاهم من نبع حبه ، ومنحهم من فيض ثقته ، وأخلص لهم فى السر والعلانية . ودار الزمن دورته فتنكر هؤلاء جميعاً لصداقته ، وتجاهلوا ما كان من مودته ، وقطعت أحقاد النفوس كل ما كان بينهم وبينه من صلات . ومع ذلك فقد نسى الرجل الإساءة وصفح عن حاضرهم وحاضره ، وعاش بفكره وشعوره فى ماضيهم وماضيه ؛ ذلك لأنه لا يستطيب العيش إلا فى ظلال الوفاء ، ولو كان الوفاء وهماً يحلق على أجنحة الماضى البعيد فوق ركام الذكريات — وأجادله فى موقفه من هؤلاء الناس فيبتسم ، وأدفعه إلى لقائهم بمثل ما يلقونه به فيعتذر ، وأثور على هذا كله فيلوذ بالصمت !

وحين أخلو إلى نفسى وأذكر ما كان منه وما كان منى ، لا أملك إلا أن أخفض قلبى تحية لحيائه ، وأحد من قرنى إجلالاً لوفائه ؛ ذلك لأن الإفراط فى الحياء ولو جنى على القيم ، والإغراق فى الوفاء ولو كان لغير أهله ، صفتان أقل مايقال فيهما إنهما ترفعان الغطاء عن حقيقة إنسان !

أما الزيات الأديب ، فيحدثك عنه اسمه اللامع وماضيه الطويل ، وإنما أريد أن أحدثك عنه اليوم على ضوء كلمته التى سمعها البعض فى المجمع ، وقرأها البعض فى « الرسالة » — أدب وتاريخ أدب ونقد : فى الأول أسلوب وعرض ، وفى الثانى إحاطة وصدق ، وفى الثالث ذوق وميزان . وأبلغ الدلالة على هذا كله أن يقول

الزيات في معرض الموازنة بين المدرستين المصرية واللبنانية : «وظلت المدرستان الشقيقتان تنتجان الأدب في ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت في الطاقة والمادّة والصنعة والتقيُّد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأم عاكفة على النظر المجرد والجدل العقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموى والنجف ، تنتج الكلام ولا تصنع ، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لها في ذلك العهد النابر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشي — ولكن الحق أن المدرسة اللبنانية كانت عملية تقدمية حرة ، واكبت الزمن في السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذي يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذي يحب — والمتتبع لتطور المدرستين يرى أن كلتيهما قد مرت في أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرُّر والاعتدال ، ثم طور التمرُّد والانطلاق . ولكن الانتقال من طور إلى طور كان في مصر متثاقلاً متداخلاً ، يرود قبل النجعة ، ويحوم قبل الوقوع ، على حين كان في لبنان متسرعاً لا يتأنى ، مصمماً لا يتخزل . فبينا نجد مراشا الحلبي في (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبيّ في (نسيم الصبا) وناصيفاً اليازجي في (مجمع البحرين) يُقلد الحريري في (المقامات) ، وإبراهيم اليازجي في (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريري في (درة الغواص) إذ نجد آل البستاني وآل الحداد وزيدان ومطران والخوري والجميل ومللاط يتوخون السهولة والابتكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين ينحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ، والزمن بين هؤلاء وأولئك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تكاد تختلف» ...

هذه فقرات يضيق المقام من أن أنقل إليك من نظائرها الكثير ، ولكنها تغنى عن هذا الكثير لأنها تقدم إليك مفتاح الشخصية الأدبية في كلمات ، ورب لمحة تغنى في مجال التقديم عن لمحات ... أما فضل الرجل على اللغة والأدب وأثره في توجيه الجيل ، فقد كشف عن هاتين الناحيتين الأستاذ فريد أبو حديد بك في كلمته القيمة الصادقة التي ألقاها في المجمع ونشرتها الرسالة ! بقي أن أقول كلمة عن ناحية أخرى من نواحي الزيات الأدبية ، وهي ناحية عرض لها الأستاذ فريد أبو حديد بك في خطبته حين تحدث عن قصتي جوته ولامرتين — كلمة عن قلم الزيات حين يترجم آثار الفن من لغة إلى لغة ، ومن ذوق إلى ذوق ، ومن أدب إلى أدب ؛ هناك في « آلام فرتر » « ورفائيل » و « من الأدب الفرنسي » ثلاثة كتب لو قرأتها دون أن ترجع إلى أصولها الفرنسية لتبادر إلى ذهنك ووقع في ظنك أن الزيات يضحى بأمانة النقل في سبيل رشاقة اللفظ وموسيقى العبارة . أشهد لقد خطر لي هذا وأنا أقرأ ترجمته لقصة قصيرة من قصص موباسان هي « الحلية La Parure » ، وأشهد لقد رجعت إلى النص الفرنسي لأراجع عليه الترجمة العربية فما رأيت عبارة قلقة في ثنايا التعبير ، وما شهدت لفظاً في غير موضعه من الأداء ، وما لمست أثراً للتضحية بدقة المقابلة في سبيل المحافظة على جمال التعبير ... ولقد ذكرت هذه الظاهرة الفريدة ذات يوم للدكتور طه حسين فكان جوابه أن ما خطر لي قد خطر يوماً له ، وأن ما وقع في ظني قد وقع يوماً في ظنه ، وكان ذلك حين قرأ « آلام فرتر » للزيات ، ولكنه حين رجع إلى القصة في أصلها الفرنسي لم يملك أمام حرفية الترجمة وبلاغة الأداء ، إلا أن يكتب مقدمتها الرائعة تحية إعجاب وتقدير !

قصة لم ترو :

منذ عشرة أشهر على التحديد ، وفي إحدى المناسبات وأنا أنقد كتاباً في مكان آخر غير الرسالة ، قلت عن الدكتور الشاعر ابراهيم ناجي : «... هذا شاعر رقيق مجدد ، ولكنه شاعر في حدود القصيدة التي لا تتعدى في طولها عشرة أبيات من الشعر ، لأنه ضيق الأفق ، محدود الطاقة ، لا يعينه جناحاه على التحليق في الأجواء العالية ! الأجواء التي تتطلب جناحي نسر لا جناحي فراشة » !

قلت هذا عن الدكتور ناجي ومضت بعد ذلك أيام ؛ ثم حدث أن

لقيت شاعراً من شعرائنا الشبان وبطه بالدكتور سبب من صلات الود والصداقة ، وأبدى الشاعر الشاب رغبته فى أن يجمع بينى وبين الدكتور ناجى ، لأننى فى رأيه قد ظلمت شاعريته حين وصفتها بهذه الكلمات التى انتهت بجناح الفراشة ... وكان ردى على الشاعر الشاب أننى لم أر صديقه فى يوم من الأيام ، وليس بينى وبينه ما يدفع الناس إلى شىء من سوء الظن إذا ما أشدت بحسناته أو أشرت إلى سيئاته ، ومهما يكن من شىء فليس هناك مايحول بينى وبين لقائه !

وحدث مرة أخرى أن كنا فى ندوة الرسالة فجاء ذكر الدكتور ناجى على لسان أديب شاب ، مالبث أن وجه إلى الحديث مذكراً بتلك الكلمات التى كتبتها عنه ، خاتماً هذا الحديث بقوله : إن ناجى سيتقدم فى القريب دليلا فنيا يرد به على تقدى ...

أما هذا الدليل الفنى فهو ملحمة تحت الطبع بلغت فيها الطاقة الشعرية ثلاثمائة بيت من الشعر . وكان ردى على الأديب الشاب أننى على استعداد لتقديم هذه الملحمة إلى القراء تقديماً يبرز مافيها من قيم ، على شرط أن يعيننى الطبيب الشاعر على تحقيق هذه الأمنية !

وحدث مرة ثالثة — وكان ذلك منذ أيام — أن دق جرس التليفون فى مكتبى بوزارة المعارف ، وكان المتحدث ذلك الشاعر الشاب الذى طالما أبدى رغبته فى أن يجمع بينى وبين صديقه ، وبعد دقائق من بدء الحديث أفهمنى أن الدكتور ناجى إلى جانبه وأنه يريد أن يتحدث إلىّ ... وتكلم الدكتور وتكلمت ، وكانت كلمات فيها كثير من الترحيب بلقائه ، انتهت بالتواعد على اللقاء فى حفلة التأبين التى أقيمت لفقيد البيئة أحمد سالم بدار نقابة الصحفيين ، ولقد اختار ناجى هذا المكان بالذات لأستمع إلى قصيدته التى ألقاها فى الحفلة ، عسى أن أغير رأيى فى جناح الفراشة.

إلى هنا وأشهد الله أننى توجهت إلى نقابة الصحفيين رغبة فى الاستماع لقصيدة الطبيب الشاعر ، وأملا فى إنصافه وتحقيقاً لتسجيل هذا الإنصاف على صفحات الرسالة ... وجاء دور ناجى فى الإلقاء فحدت عينى ، وأرهفت أذنى ، وحشدت القوى كله والشعور كله لتلك الأبيات التى بدأها بمطلع لا يبشر بالخير ! ومضى الطبيب الشاعر فى إنشاده حتى فرغ من إلقاء قصيدته ، وقلت لنفسى ترى هل من الذوق أن أصارحه أم حسبه أن أصالحه ! وبعد حساب طويل بينى وبين نفسى صالحته وانصرفت .

ومع ذلك فأنا فى انتظار الملحمة الكبرى ، وأرجو الله أن يهب الطبيب الشاعر من التوفيق مايعيننى على إنصافه ...

تقدير الأدب والأدباء عندنا وعندهم :

إياك أن تعجب إذا قلت لك إن الذين شيعوا الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل إلى مقرها الأخير بلغوا مائة ألف ... مائة ألف ذرفوا عليها من الدموع مايرطب ثراها إلى الأبد ! ولا تعجب إذا قلت لك أيضاً إن السائق الأرعن الذى دهمها بسيارته فقضى على الفن والنبوغ فى لحظات ، هذا السائق قد جن جنونه ولطم خديه حين علم أن تلك التى قضى عليها لم تكن سوى صاحبة القصص المبدع الذى أخرج للملايين قصته الخالدة « ذهب مع الريح » ! ولا تعجب مرة ثالثة إذا قلت لك إن الصحافة الأمريكية قد طالبت بإعدام المجرم لأنه لم يقتل عابرة طريق ، وإنما قتل مرجريت ميتشل ... ولا تعجب مرة رابعة إذا قلت لك إن سكان الولاية التى أنجبت الكاتبة الأمريكية قد عهدوا إلى أحد نوابغ المثالين أن يصنع تمثالا ضخما للفقيدة العظيمة ، ليقام فى القريب العاجل فى أكبر ميدان من ميادين العاصمة !!

هذا فى الولايات المتحدة التى يقال عنها إن دوىّ الآلات فيها قد طغى على صوت الفن ، وإن ضجيج المادة قد أخمد سبحات الروح ... وليس هذا فى الولايات المتحدة وحدها ولكنه فى فرنسا وغيرها من البلاد الأوربية ، أهل الأدب والفن لهم مكان الصدارة فى مواطن التكريم والتعظيم ، سواء أكانوا فى عداد الموتى أم فى عالم الحياة والأحياء ، وحسبك أن تعلم أن جنازة الشاعر بول فاليرى كانت أعظم وأروع من جنازة أى رئيس من رؤساء الجمهورية الفرنسية ، وحسبك أن تعلم أيضاً أنه مامن أديب فرنسى كبير إلا وله تمثال يذكرك به فى ميدان من الميادين ، أو شارع قد أطلق عليه اسمه ، أو دار قد حولت إلى متحف ينتسب إليه . هذا عدا وسائل التخليد الأخرى التى تقوم بها الهيئات والحكومات!

عندهم هذا كله .. وعندنا الأدباء والفنانون يتضورون من الجوع ، ويضجون من الغبن ، ويصرخون من الإهمال . وعندما يموت أحدهم تقام له حفلة تأبين فى نقابة الصحفيين ، لا يُنهات عليها كرام القوم بعض تهافتهم على تكريم مطربة من صواحب الصوت الجميل ! !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

طه حسين سفير مصر الأدبي في أوربا :

جاء من باريس أن الدكتور طه حسين بك غادرها عائداً إلى مصر ، وقد عرف الناس من أنباء رحلته في أوربا هذا الصيف ، أنه توجه إلى انجلترا تلبية لدعوة جامعة لندن إلى إلقاء محاضرات هناك ، وقد ألقى هذه المحاضرات التي دارت موضوعاتها على الأدب العربي ، وقرأ الناس أيضاً من أنباء هذه الرحلة ما قوبل به في تلك البلاد من الحفاوة والترحيب ، لا من المصريين هناك فحسب ، بل من الهيئات العالية أيضاً ، كنادي القلم الدولي في لندن . وقد بهر أديبنا العظيم من لقيه هناك واستمع إليه ، حتى أطلق عليه بعضهم «برنارد شو الشرق» وما نعد نحن هذا التشبيه زيادة في قدره ، وإنما الدلالة الملحوظة أن يتزل هو من تقديرهم مثل منزلة أديبهم الكبير .

وفي العام الماضي دعي طه حسين إلى إسبانيا لإلقاء محاضرات في جامعتها ، فلبي الدعوة وقضى هناك أشهراً تحدث فيها إلى الإسبانيين عن الأدب المصري الحديث فيما تحدث . وكان من ثمرات تلك الرحلة فكرة إنشاء معهد مصري في إسبانيا ، التي اقترحها على وزارة المعارف ، والتي ترمي إلى دراسة الآثار العربية الفنية والفكرية في البلاد التي كانت تسمى بالأندلس في عهدها العربي ، دراسة تصلنا مباشرة بتلك الآثار التي لا نعرف عنها إلا ما نلقفه من المستشرقين .

وأعود إلى طه حسين وهو يضطرب في فرنسا متنقلا بين عاصمتها ومصايفها ، يخالط الأدباء الكبار ويدارسهم ، يستمع إليهم ويستمعون إليه . وأكبر الظن أنه لا بد أن يرد في الحديث ذكر الأدب في مصر وأخواتها العربية ، وأقل ما يشعر به أولئك الأعلام العالميون أن بينهم أديباً عربياً يمثل الثقافة العربية الحديثة ، فيملي ذلك من شأن هذه الثقافة في نظرهم . وليس قدر طه حسين بين كبار الأدباء في فرنسا بالذي يحتاج إلى تبيين ، وقد رشحه أندريه جيد وماسنيون وأدوار هريو لنيل جائزة نوبل للآداب في هذا العام ، كما أشرت إلى ذلك في الأسبوع الماضي .

تلك هي السفارة الأدبية التي يقوم بها لمصر طه حسين ، وهي سفارة — كما ترى — ذات شأن وأثر كبيرين ، ففيها دعاية لبلادنا وفيها تعريف بأدبنا وثقافتنا ، إلى ما يستمده أديبنا الكبير نفسه من ثمرات الأفكار وما يستلهمه من صور الحياة ثم يفيضه علينا في أدبه المصفى .

وذلك هو طه حسين « مالىء الدنيا وشاغل الناس » . إنه يعود إلى مصر ، فليت شعري ، كيف تلقاه مصر ؟ هل يتوجه إلى داره ويذهب للتسليم عليه جماعة من الناس ، يحمدون الله على سلامته ، كأي واحد من آلاف الناس الذين يسافرون ويؤوبون ، في تجارة أو لهو ؟

قرأت في الصحف أن رجال التعليم الحر سيقيمون له حفلة استقبال ، هذا حسن ، وهؤلاء قوم يعرفون الواجب . ولكن الأدباء أين هم ؟ لا أريد أن أسبق باللوم ، فعسى أن يخطر الأمر على بالهم ، وليت « عسى » تنفع شيئاً !

ولكن أقول : إن الخطباء والشعراء يسارعون إلى المشاركة في الحفلات التي تقام لرجال السياسة وغيرهم ، وأراهم يتقاعس بعضهم من بعض ، لا يكرمون أحداً منهم ولا يحيون ذكر موتاهم ، مع أنهم هو الأكرم لهم والأجدر بهم ، ولكن قاتل الله التطلع والأثرة والنافسة ...

ولست أدعو إلى تكريم طه حسين لذاته ، فالرجل غني بأدبه وصيته عن كل تكريم ، وإنما في ذلك معان منها إكرام النفس بعرفان الفضل ، وفي ذلك أيضاً مجال للأذهان والقرائح ، وتنشيط للحركة الأدبية ، وعرس للأدب والفن .

وتحيتي إلى الرجل العظيم الذي يذكر اسمه مجرداً ، فيغني من كل ما تحلى به الأسماء ، وهو طه حسين .

من طرف المجالس :

كم في مصر من العبقريات ! هذه عبقرية من نوع آخر .. التقينا بصاحبها بفندق الكونتنتال في إحدى أمسيات هذا

الأسبوع وعبقرينا هذا هو الفيلسوف الاقتصادي، أو قل زعيم الفلاسفة والاقتصاديين جيماغير منازع، محمد مختار.. وبجريد اسمه من الألقاب لعظامة الاستحقاق... كما أن تجريد اسم «طه حسين» للاستغناء.. وهكذا تتنوع الأسباب والتجريد واحد..

قدم لنا الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ذلك العبقري، وعرفنا به ولم يكن في حاجة إلى تعريف، فقد كانت «عظمته» بادية في سمته، كما هي كامنة في اعتقاده.. وشاء ظرف معالي حلمي عيسى باشا أن يشير إلى ناحية من نواحي هذه العبقرية التي قلما يجود بمثلها الزمان.. تلك الناحية هي تجديد عبقرينا في النحو، بجر الاسم الذي يقع عليه الفعل وهو لا يعترف بالنصب إلا في حالة واحدة، عند ما يدخل على الاسم حرف جر، فإنه يقف في وجه هذا الحرف ليمنعه أن يؤثر شيئاً في الاسم، أو يحمله على نصبه حملا! قال معالي حلمي باشا: كيف يقول الدكتور أحمد أمين في خطبته بالمجمع اللغوي: إن النحو ظل جامداً لم يتطور! ولكن له عذره لأنه لم يسمع مختار بك، ولو سمعه يدحض مذاهب النحويين بالقراءة على غير مقتضاها لغير رأيه...

ولكن الفيلسوف الاقتصادي الكبير لا يلتفت إلى النحو، فهو يتكلم بالسليقة، وهو يوجه همه إلى الفلسفة والاقتصاد.

وقد أجمع أهل المجلس على الرغبة في سماع شيء من إنتاج عبقريته، فأخرج من جيبه مقالا عنوانه «فلسفة الحياة» وهو مقال مشير في مبناه كبير في معناه... تتجلى روحه الفلسفية في مستهله إذ يقول: «الله سبحانه جلت قدرته خلق الإنسان مكوناً من مادتي الجسد والروح» وتصل الفلسفة إلى قمتها عند ما يقول «إذا فقد شخص ما مكانته الاجتماعية إذ كان موظفاً وأحيل على المعاش شعر بنقص كبير في شخصية مكانته الاجتماعية فيسعى لإظهارها بأن يصل عضواً برلمانيا أو تجاريا أو محاميا» أرأيت مثل هذه الفلسفة في «الحث على العمل»؟

وقد أراد الأستاذ الزيات أن تحل الصفحة الأولى من «الأهرام» بذلك المقال، ولكني ضننت به على الأهرام، وأخذته لتحليله وعرض فكرته الهائلة في «الرسالة» ولا يسعني بعد ذلك إلا أن أنبه على وجوب اختيار هذا العبقري الفيلسوف وزيراً لأي وزارة.. تحقيقاً لرغبة أصحابه وجالسيه في الكونتننتال، وتحقيقاً لرغبته هو أيضاً فالتواضع لا يحسن في كل حال.

كشكول الأسبوع

□ وافق معالي وزير المعارف على منح المستشرقة الفرنسية دمادموازل ماري جوبيه» مكافأة لإتمامها بالقاهرة في خلال المدة التي تقوم فيها بتحقيق الجزء الذي تدرسه من كتاب «الشفاء» لابن سيناء، عطفا لما ذكرنا في العدد (٨٤٨) وذلك على أن يضع الكتاب [illegible]

□ قررت وزارة المعارف تأليف لجنة لإخراج ديوان ابن الرومي، من الأساتذة محمد خلف الله أحمد وطه الحاجري ومحمد عبده حسن الزيات وعبد السلام هرون، ومقر اللجنة بجامعة فاروق بالإسكندرية

□ نشرت «المصري» أن الدكتور طه حسين بك استقبل في فندقه بلندن، مندوباً عن الحكومة العالمية التي يسعى لإقامتها فريق من المفكرين، وعرض عليه أن يكون ممثل هذه الحكومة في مصر، فقبل قائلا: إنه لا يستطيع أن يمتنع عن المساهمة في أية حركة من شأنها إزالة الخلافات بين البشر.

□ أخرج الأستاذ أحمد الصاوي محمد طبعة جديدة أنيقة من كتابه «العظيمة الخالدة» وهو قصة حياة العالمة الخالدة الذكر ماري كوري مستكشفة «الراديوم» التي بلغت أوج الشهرة والمجد وظلت نفسيتها كما كانت في أول حياتها نظيفة نقية، يطالعك من خلالها روح الإنسانة التي جاهدت لخير الإنسانية جهاداً خالصاً نافعاً خالداً.

□ كتب الأستاذ الصاوي في الأهرام عن الخمر وأثرها في إفساد الحياة، واستشهد بقصة سكر ومعربدة وقعت للشاعر العباسي إبراهيم بن هرمة.

ويقال في العامية للماكر الخبيث (ابن هرمة) فهل هذا متحدر من ذلك على التشبيه مع التحريف في الضبط؟

□ شرعت دار الكتب المصرية في طبع ديوان الأمير تميم الفاطمي ابن المعز لدين الله، وقد قدمه إليها الأستاذ محمد حسن الأعظمي عميد كلية اللغة العربية بالباكستان، وكان قد عثر في إحدى المكتبات الهندية على نسخ مخطوطة لهذا الديوان، فحقق عباراتها، وشرحه، وقدم له بدراسة مسهبة تضمنت نظرات في أدب الفاطميين.

□ تعود مجلة «الميزان» إلى الظهور في أوائل نوفمبر القادم، وهي مجلة شهرية يحررها نخبة من الشبان الأدباء، وتعنى بشؤون المسرح والسينما والأدب.

□ شكت مجلة «الاستديو» إلى (البوليس) والقضاء، أنور وجدي مخرج فلم «غزل البنات» لأنه صفع محررها وحطم نظارته، على أثر قراءته عدد المجلة فتلم.

□ نشرت الصحف السودانية أنباء تلقتها من جنوب السودان تتضمن أن الإرساليات الأوربية هناك قد نظمت حملة لمقاومة مشروع نشر اللغة العربية الذي تقوم به وزارة المعارف السودانية.

عقبال البكارى :

كان مخرجو الأفلام المصرية يعمدون إلى خلق المناسبات وأدنى الملابسات ليظهروا فى مناظرها الراقصات والمغنين والمغنيات والمضحكين والمضحكات ، ويُعد من الأفلام الجيدة ما تقدم هذه العناصر والظواهر مع موضوعه الهزيل كى تستر نقصه وتغطى هزاله ... ولكن فلم « عقبال البكارى » حدث جديد فى هذا الميدان لم يسبق له مثيل . ذلك أنه لا ينتهز الفرص لتقديم الرقص وغيره ، وإنما هو يحاول أن ينتهز الفرص فى خلال الرقص لعرض قصة .. والمرة الأولى نرى القصة خرجت من (السيناريو) وصارت شيئاً آخر إضافيا ، وأصبح « التطعيم » ينصبُّ على الرقص وما إليه ...

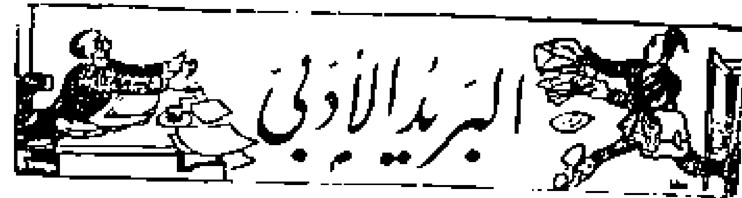
ولم لا ؟ أليست بطلة الفلم هى تحية كاريوكا ؟ وها هى ذى تظاهر — واسمها فى الفلم تحية أيضاً — فى أول منظر أمام الرسام حمدى باعتبارها « مثالاً » للرسم ، وبينا هو يعمل فى رسمها ويسمع قطعة موسيقية من الحاكى إذا هى تتحرك على الموسيقى وتروح ترقص وترقص ... ولا بد من ذلك ليبدأ الفلم أو — على الحقيقة — ليرقص .. وتُنتهز فرصة فراغ تحية من الرقص لعرض مناظر يفهم منها أن حمدى الرسام تعلق قلبه بتحية الراقصة ، فذهب إليها فى (الصالة) التى تعمل بها ، وهنا يستأنف الفلم مجراه الطبيعى ، فيقدم ما تشتهى الأنظار من ألوان الرقص والغناء . وفى حجرة تحية الخاصة نراها تستقبل حمدى ضمن زوار آخرين استقبال مجهول وتسأله عن اسمه .. فهل نسيت أو نسى المخرج أنها كانت عند حمدى فى مرسمه ، يرسمها وترقص ؟ ولندع هذا فما هى إلا برهة وجيزة حتى نرى تحية وحمدى وآخرين معهما يتعشون فى (كازينو تحية الصبح) والحقيقة أن كلمة « العشاء » نسمعها من ألسنتهم فقط ، فلم نر عشاء على المائدة التى جلسوا إليها قليلا ثم نهضوا للرقص ..

ونرى بعد ذلك حمدى يصارح تحية بحبه إياها وهى تبادله الحب ، ويتفقان على الزواج ، بعد أن يقول لها إنه فقير ، وتقول له إنها ترضى به ، لأنها تحبه وقد كرهت هذا النمط من الحياة التى تجرى عليه . ويبدأ فى البحث عن شقة يسكنانها ، هو وصديقه جيل ، ويعنى المخرج بإبراز هذا البحث ليشير إلى أزمة المساكن ، ولكنه لا يوفق فى ذلك إذ أنه جعل من العسير عليهما أن يجدا أى شقة ، مع أن الشقق الآن موجودة فى كل مكان ولكن الأزمة فى ارتفاع أجورها ، اللهم إلا أن يكون الفلم أعد منذ سنوات وعرض الآن فقط .

وأخيراً يجد حمدى إعلاناً عن شقة خالية فى منزل المعلم عاشور الجزار ، ويذهب حمدى وصاحبه جيل إلى هذا المنزل ، فيحدث اشتباه مفتعل ظريف ، إذ يظن الجزار أن حمدى يخطب أخته العانس فيرحب به ، ويجرى الحوار بينهما مشتبهاً ، يفهمه حمدى على الشقة ، ويأخذه الجزار على أنه فى الرغبة من زواج أخته ، ويضرب الموعد لكتابة « العقد » ... وأى عقد ؟ أهو عقد الإيجار ، أم عقد الزواج ؟ كل يفهم ما يريد ... ويعد الجزار لعرس أخته ، ويقبل حمدى ليؤجر الشقة ... ثم يرغم على الزواج ، إذ يهدد بالسكاكين إن لم يقبل ، حتى لا تتعرض سمعة العائلة للقيل والقال .

ويجرى كل ذلك سريعاً سريعاً ، ويدور الرقص فى الفرح ، وتلم تحية فتعود إلى (الصالة) بعد أن تركتها وتستأنف الرقص . ثم يهرب حمدى من العروس التى أكره عليها ، ويحصل الجزار من (قسم البوليس) على أمر بالقبض على العريس أينما وجد . ولأول مرة — فكل ما فى الفلم أول — نرى أمر القبض على زوج هارب من زوجته ، والأمر من (عسكرى البوليس) لا من وكيل النيابة ! ولم هذا الأمر يا ترى ؟ ليذهب به الجزار إلى ميدان سباق الخيل بالأسكندرية حيث ذهب إلى هناك حمدى وتحية ومن معهما ليشاهدوا الحصان « سعد السعود » التى خرجت باسمه ورقة النصيب التى معه ، فيطالبه بمؤخر الصداق وهو ألفا جنيه ، ويهدده بأمر القبض عليه — وبعد أخذ ورد يتفقان على أن يتنازل الجزار عن ألفى الجنيه ويدفع خمسة آلاف أخرى لقاء ورقة النصيب التى أيقن أن حصانها سيسبق ويربح عشرة آلاف جنيه ، ثم يخفق الحصان . وينتهى الفلم بنظر حمدى وتحية مسرورين بخمسة الآلاف

ويلاحظ أن الجزار يطالب بمؤخر صداق أخته ، ويساومه زوجها حمدى ، وهذا أيضاً تجديد توجه إليه الأنظار ، فالمتبع ألا يطالب بمؤخر الصداق إلا عند الطلاق ، ولكن هنا لا يجرى للطلاق أى ذكر ، ومع ذلك يتساوم الطرفان على مؤخر الصداق ،



المازني في يافا :

كانت يافا العربيـة وتعتبر مركزاً هاماً للنشاط الأدبي والفكري في فلسطين ، ففيها الصحافة ، وفيها الأندية ، وفيها محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية .

وفي سنة ١٩٤٥ دعت محطة الإذاعة الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني تغمده الله برحمته ليحل ضيفاً عليها لمدة أسبوعين يبث في أثنائها وجهات نظره إلى المذياع .

فحدثنا — رحمه الله — في مواضيع شتى أذكر منها (رسالة الشباب) و (فن الترجمة) و (هل للأدب رسالة اجتماعية) و (التعاون الفكري بين البلاد العربية) .

ورحبت بمقدمه أندية يافا مثـل النادي العربي ، والنادي الأرثوذكسي ، والنادي الرياضي الإسـلامي ، والمعهد البريطاني، وألقى فيها محاضرات قيمة في الأدب والاجتماع .

وأذكر أن حدث للأستاذ المازني في يافا حادث عجيب، فقد جاءه بعد ظهر يوم وفد يمثل نادي الشبيبة الإسلامية ، وكان الأديب الكبير ينزل في (كايف أوتيل) وطلب مقابلته ، فأخبره صاحب النزل بأن الأستاذ يتناول دواء بعد كل غداء وينام مدة ساعتين على وجه التقريب ، وقد منع كل مقابلة له في هذه الأثناء ، فأصر الوفد على مقابلته ، وعلا الهرج والمرج في القاعة ، فاخترقت الأصوات باب حجرة الأستاذ وبلغت مسمعيه مصحوبة بترديد اسمه فنهض متدثراً في قميص النوم ، وفتح الباب مستوضحاً الخبر ، فقال له رئيس الوفد : يؤسفنا جـداً أن نزعجكم في مثل هذا الوقت ، فأعضاء نادي الشبيبة الإسـلامية مجتمعون في ناديهم للاحتفاء بكم ، ويسرهم أن تقوم فيهم خطيباً .

فقال : إنني لم أعتد الخطابة بعد الظهر ، وهو وقت راحتي واستجمامي ... لكنني لن أرد لكم طلباً ، فأذنوا لي بدقائق معدودات لأغير لباسي .

واستقل الأستاذ المازني والوفد سيارة إلى النادي .

لقد توقع الضيف الكريم أن يرى وفداً آخر عند مدخل النادي ، وصفوفاً يبتدئ طرفهم بأول درجة من درجاته وينتهي الطرف الآخر بالحفل ... ولكنه لم يلتق بأحد ، فامتقع وجهه قليلا ، وتبلبل الوفد المرافق .

وولج الأستاذ المـازني القاعة ، وكان هواء البحر يداعب ستائرها ، فوجدها خالية إلا من قيم مكتبة النادي الذي دهش لمرأى الأستاذ المـازني في الثالثة بعد الظهر فهرع إليه يقول : أستاذنا الكبير ... أهلا بأديب العربية ... ما هـذه المفاجأة السارة ؟ ... لقد كنا نود أن تشرفونا بزيارتكم في وقت غير هذا الوقت ... فالأعضاء متغيبون ، ومع ذلك فأهلا بكم !

فوقف الأستاذ المازني حائراً ، ووقف الوفد مشدوهاً .

وبدأت الاعتذارات ممتزجة بتصبب العرق وفرك اليدين ، وساد النادي صمت رهيب ، ولم ينقذ الموقف إلا فرقة من الكشافة قد عرجت على النادي مصادفة لتستريح قليلاً من عناء رحلة شاقة فعلمت بوجود الأستاذ المازني في النادي وراحت تشق عنان السماء بالهتاف : يعيش المازني . يا .. يعيش ! .. نريد كلمة من المازني !

والسؤال الحائر هو : لماذا لم يطلق حمدي أخت الجزار ؟ وهل يكفي أن يوهم له أخوها بأنه تسلم مؤخر المهر لتكون هي طالقاً ؟

ومن العبث أن يتحدث الناقد في مثل هـذا الفلم عن رسم الشخصيات ، فليس فيه شخصية مرسومة ، حتى الرسام الذي لم نجد في مرسمه شيئاً من روائع فنه !

وقد عرض الفلم — لأول مرة — في هذا الأسبوع بسينما الكورسال بالقاهرة ، وهو من تأليف أبو السعود الابياري وإخراج ابراهيم عمارة . ومثل « حمدي » محمود المليجي ، وهو ممثل عرف بالإجادة في أدوار الشر ، وكان بهذا الفلم في دور البطل المحبوب ، وقد وفق في القيام به ، غير أنه لا تزال تلازمه بعض الظلال والخلال التي كان يظهر بها في الأدوار الشريرة . ومثل « جميل » إسماعيل يس وهو في دور إضافي يمكن الاستغناء عنه ، وإنما يقصد به الإضحاك ، وكذلك حسن كامل الذي مثل عم تحية ، وقد كانا معاً ركني الفكاهة في الفلم ، على أنه يمكن أن يقال إن كل من في الفلم يمكن الاستغناء عنهم — ما عدا تحية ...

عباس خضر

ووقفت الكشافة في صفين متقابلين ، فاستعرضهم الأستاذ المازني ، وألهب نفوسهم بخطاب وطني جارف .. وترك النادي بين هتافاتهم وتصفيقهم الحاد .

فلما روى لي رحمه الله هذا الحادث العجيب ، سألته مداعباً : أترون في الأمر سوء تفاهم أم (مقلباً) ؟ ..

فأجاب وهو يضحك : والله لا أدري .. ولكنه حادث طريف يصلح للكتابة ! ..

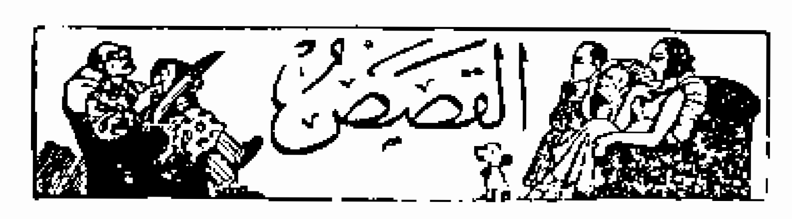
ليماسول (قبرص) — نجاتي صدقي

ماذا ؟

في البريد الأدبي في العدد ٨٤٧ من الرسالة قرأت من الأستاذ راجي الراعي رداً على سؤال وجه إليه ... كان السؤال معقولاً ولكن الرد كان عجيباً ... لم يفهم الأستاذ دسوقي حنفي معنى لنداء بثه الأستاذ الراعي إلى الشمس فقال لها «يا ابنة الله» ثم «يا عين الله» . وأراد الأستاذ الراعي أن يجيب ولم يكن ثمة داع للاجابة .. فلم شط في التعبير وكان الله غفوراً رحيما ولكنه قال لنا إنها لغة غير لغة الناس ... إذن فقد كنت في السماء مع الشمس ... أو هكذا يقولون هناك ! غير لغة الناس يا سيدي . فأي لغة هي ؟ حسبنا الله الواحد الأحد لم يولد ولم يلد ... هكذا نقول نحن الناس ... فهو إذن والد في لغة غير لغتنا ... أستغفره لهذه اللغة وأسأله لها الرحمة والتوبة والهداية .

أما أن الشمس عين الله فهذا ما أراد أستاذنا الراعي أن يدلل عليه فقال إنها النور وإنها إحدى عيون الله التي ترعى الخلق . خمدت الشمس عيناً له جل جلاله ... أنبلغ عين الله من الضعف والهوان هذا الدرك ... أي عين الله تلك التي أذودها عني بستاره أسدلها أو خشب نافذة أقفله ... إن عيون الله يا سيدي ... أي عين له لهي أحد من ذلك وأقوى ... رحماك يا أستاذنا الراعي اعتذر فقد أخطأ من قبلك كل جليل وإن الحق قديم ... هكذا يقول الناس .

ثروت أباظة



الصـــــورة ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب يوسف يعقوب حداد

سمعت من يقول لصديقه ، وهما على مقربة من مجلسي ... أنظر ... ها هو ذا ميليال !

واتجهت إلى هذا الذي يشيرون إليه بإعجاب ودهشة ، إذ أنني كنت في شوق للتعرف على هذا الرجل الذي تعبده النساء ... هذا الرجل الغريب ، الذي تتهالك عليه بنات حواء !

كان قد تجاوز سن الشباب بقليل ، يبدو للعين في هيئة غريبة ، غير مألوفة ، فشعره غزير ، ينسدل حتى كتفيه ، ويغطي رأسه حتى ليبدو وكأنه قبعة جلدية كتلك القبعات التي يلبسها أهل الشمال ! ولحيته ناعمة ، طويلة ، تداعب صدره ، وكأنها قطعة منتزعة من فرو معطف نسائي جميل !

رأيته يتحدث لامرأة ، وفي حديثه كثير من اللطف والرقة ، قد أحنى جذعه في احترام ، وهو يوجه إليها نظرات لطيفة إذا استطعت أن تدرك منها شيئاً ، فإنما أنت تدرك ، عاطفة فيها مزيج من الحنان والعطف والاحترام !

كنت قد سمعت طرفاً من حياة هذا الرجل ... وعرفت أن بضع نساء قد أحببنه حتى العبادة ، وتفانين في حبه إلى حد لا يتصوره العقل ، وسمعت اسمه يتردد في كثير من قصص الحب ، فكنت إذا ما سألت أولئك النسوة اللواتي كن يطنبن في مدحه ، ويندفعن في التحدث عن سجاياه ، وعن سر سحره الذي يسحرهن وجاذبيته التي تجذبهن ، كن يجبنني بعد تفكير عميق ، وتأمل طويل ، بأنهن لا يعرفن هذا السحر . ولا يدركن لهذه الجاذبية سراً .. كل ما يعرفن ، أنهن ينجذبن له لأول نظرة ، وينسحرن بسحره لأول لقاء !

وأستطيع الآن ، وبعد أن رأيته ، أن أؤكد أنه لم يكن جميلاً ، كما أنني أستطيع أن أقول ، وأنا لا أتجنى عليه ، أنني لم أجد فيه شيئاً من تلك الخصال التي يتصف بها عادة ، أولئك الرجال الذين يجتذبون إليهم قلوب النساء ، لذلك رحت أتساءل في دهشة عن سر هذه الجاذبية . أهو كامن في ذكاء الرجل ؟ ... ولكني لم أسمع من يمتدح فيه الذكاء ! ... أهو مختفٍ في مظهره ؟ ... ربما ! ... ألا يمكن أن يكون مكمن السر في صوته ؟ ... وإنما هنا لك غيره من يملك مثل هذا الصوت ، المشحون بالرقة ، والحنان ، والعذوبة !

ومر أحد معارفي ، فاستوقفته ، وسألته — أتعرف السيد ميليال؟

قال في دهشة — نعم !

قلت في رغبة واندفاع — أرجوك — قدمني إليه .

وبعد دقيقة ... دقيقة واحدة فقط ، كنا نتصافح ، ونتجاذب أطراف الحديث !

كان حديثه مرحاً ، هادئاً ، متزناً . وكان صوته جميلاً ، رقيقاً ناعماً . إلا أنني سمعت من قبل أصواتاً أكثر تأثيراً في أذن السامع ، وأشد وقعاً في نفسه ... سمعت أصواتاً تبعث السرور ، وتنشر في النفس الحبور ... سمعت أصواتاً لا تجهد في تتبع معانيها ، تنساب من الشفاه سهلة ، لينة ، غير معقدة ولا متشابكة .

وبدا لي حديثه طبيعياً . لا ينبه الشعور بالملل . والمتحدث إليه يشعر بأنه يبادله الحديث في سهولة وبساطة . وأن الألفاظ تنساب من فمه بسهولة ، ومن غير تفكير أو عناء !

ومع أن المدة التي مضت لتعرفي عليه لم تزد على الربع ساعة ، إلا أنني وجدت نفسي ، وكأنني أعرفه منذ ربع قرن ! ... شعرت نحوه كما أشعر نحو صديق قديم . أفكاره ، وحركاته وزعاته ، لم تكن غريبة عني . في هذه الفترة القصيرة من الزمن ، شعرت وكأن كل ذلك التكلف والتحفظ ، وكل تلك الحواجز والعادات التي تقف عادة بين الناس ، قد انهارت كلها مرة واحدة ، وتداعت من أساسها ! ... والمعروف أن تلك الحواجز والعادات ، وذلك التكلف والتحفظ لا تسقط بين الناس مرة واحدة ، وإنما تسقط تدريجياً الواحدة بعد الأخرى . تسقط مع مرور الزمن . وتوطد أركان المعرفة ، وتوثق عرى الصداقة .

وافترقنا بعد أن أعطاني عنوان بيته ، ودعاني لتناول الغداء عنده في اليوم التالي . إلا أنني نسيت الوعد بالضبط حين ذهبت إليه في اليوم التالي ، ووصلت قبل الوعد فلم أجده هناك .
فاستقبلني خادم صموت ، قادني إلى غرفة الاستقبال ، حيث جلست على مقعد وثير وكأنني في بيتي !

إن مشاعر المرء تختلف بالنسبة للغرف التي يدخلها ... بعضها يشعرك بالضيق ، وبعضها يشعرك بالكآبة ، والبعض الآخر منها يشعرك بالبلادة ! ... أن عيوننا كقلوبنا ترتاح لأشياء وتشمئز من أشياء أخرى !

وأخذت أنظر إلى مايحيطني . وأتأمل فيما يدور حولي . فلم أجد ثمة شيئاً غير مألوف ، فالأثاث بسيط يغلب عليه القدم . والستائر من حرير شرقي ناعم . وفي صدر الغرفة ، في مواجهتي صورة لامرأة متوسطة الحجم ، يظهر منها الرأس والقسم الأعلى من الجسد ... وبيدها كتاب .

كانت المرأة في مقتبل العمر حاسرة الرأس . وكان شعرها الناعم مرتباً في بساطة ، يبدو على شفتيها طيف ابتسامة حزينة كئيبة . والصورة طبيعية لاأثر للتكلف والتصنع فيها .

إن مارأيته من صور قبل الآن ، كانت البهرجة تغلب عليها بوضوح ، حلي ، وجواهر ، ولباس أنيق ، وشعر مضفور في عناية . فكانت تلك الصور تشمئز لأول وهلة ، أن صاحب الصورة قد تصنع كل ذلك التصنع لأنه كان يعلم سلفاً بأنه جالس أمام المصور ... وأنه يريد أن يرضي أحبابه وأصدقاءه الذين سيرون صورته . فلذلك كرهت تلك الصور البعيدة من الواقع ، الشديدة التكلف والتصنع ... أما هذه الصورة ، فأنا أعجز عن وصفها . ولا أحس بالخجل إذا قلت بأنني أعجز عن التعبير عن شعوري تجاهها .

كانت مثبتة في مكان بارز ، منعزلة ، تبتسم ابتسامة باهتة يشوبها الحزن ، ويخالطها الأسى . تماماً كما يبتسم بعض الناس حين يختلون بأنفسهم ، ويتذكرون مامضى من حياتهم . فيبتسمون ، يبتسمون لأنفسهم حتى إذا كانت تلك الذكريات مرة وحزينة !

كانت منفردة في مكانها ، غير شاعرة بهذه الأشياء التي تحيط بها .. وهذه الصورة قد خلقت في الغرفة جواً ساكناً ، يشيع فيه الهدوء ... هذه الصورة هي الشيء الوحيد الذي يبعث الحياة في هذه الغرفة !

من الممكن أن يقتحم هذه الغرفة جمع غفير من الناس يضحكون فيها ويمرحون ، يشربون ويغنون ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يبعثوا هذه الحياة التي بعثتها الصورة نفسها !

وبدت لي نظراتها غريبة ... بدت لي مصوبة نحوي . إن كل الصور تقابلك بنظراتها ، أما هذه الصورة فإنها لاتراني وإن كانت مصوبة نحوي بالضبط كما أنها لاتستطيع أن ترى شيئاً آخر أبداً . هي نظرات شاردة ، تنظر ولا ترى ، مما ذكرني بقول الشاعر يودكيرز « آه من نظراتك ... إنهن يجذبنني كما تجذبني نظرات الصور ! » .

نعم ... إن هذه الأعين المرسومة بالدهان على الورق الجامد لتبدو لي ، وكأنها حية ، وإنها ستحيا إلى الأبد .

آه ... ياله من سحر ، يخدر الأعصاب ، ناعم كرور النسيم كسوت القبلات ، محرك للعواطف كلون السماء عند الغروب ... آه ... إن هاتين العينين لتشبهان الليل الذي يعقب الغروب ... وما أجمل الليل ، وما أجمل الغروب !

من هذا الإطار البابس ، تنظر إليك هذه العيون في رقة وحنان ... نعم ، إن هذه العيون التي أبدعتها يد الفنان على الورق بعدة حركات من ريشته ، لتبدو لي هي الأخرى ، مفعمة بالأسرار ... أسرار المرأة ، الكامنة أو الظاهرة . إن هذه العيون لتحمل كل ماتستطيع المرأة التعبير عنه بنظراتها . هذه النظرات التي تنبه في قلوبنا الإحساس الأول للحب !

وأخيراً ، انفتح الباب ، ودخل منه السيد ميلايال ، فاعتذر لي عن تأخره ، فصافحته وأنا أعتذر إليه بدوري من تبكيري في الحضور . ثم سألته أن يغفر لي تطفلي ، ويجيبني عن سؤال عن صاحبة الصورة ، ومن عساها تكون ، فقال « إنها والدتي ... ماتت في ريعان الصبا وميعة الشباب ! » .

وعند ئذ ... عند ئذ فقط انكشفت لي كل الأقنعة عن سر جاذبية هذا الرجل ، وتأثيره على النساء !

يوسف يعقوب حداد
(البصرة : عراق) ص . ب . رقم ١٥

سكك حـــديد الحـــكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم والإقامة في الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ٩٤٩، لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة في الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة في الفنادق المبينة بعد :

اسم الفنـــدق	درجـــة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة مليم جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجـــة أولى ممـــتازة	٩٣٠ ر ١٦
فندق كاتاركت بأســوان	» » »	١٢٠ ر ١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠ ر ١٥
	الثانية » » » »	٣٢٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠ ر ١٧
	الثانية » » » »	٠٩٠ ر ١٠
فندق ســافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠ ر ١٤
	الثانية » » » » »	٤٤٥ ر ٨
فندق الأتلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	الثانية » » » »	٣٥٥ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠ ر ١٢
	الثانية » » » »	٣٥٥ ر ٦

مطبعة الرسالة